

قضايا فكرية معاصرة

ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ (١)

مآلات القول بخلق القرآن

دراسة عقيدية معاصرة

تأليف

الدكتور : ناصر بن يحيى الحيني



● مركز الفكر المعاصر ●

مركز علمي يقدم رؤية لمنهج إسلامي أصيل في القضايا الفكرية المعاصرة يعتمد الوسطية منطلقاً ومنهجاً في نقد التيارات الفكرية المخالفة .

● الأهداف ●

- ١- رصد الحراك الثقافي المحلي مع تقديم رؤية ناضجة في ضوء العقيدة الإسلامية الصحيحة .
- ٢- استثمار الطاقات العلمية والثقافية المتميزة في نشر الحق والرد على الباطل .
- ٣- تقديم الدراسات في القضايا العقدية والفكرية المعاصرة .
- ٤- تبني النتاج العلمي والثقافي المتميز المعني بتخصص المركز وتوجهه الثقافي والمساهمة في نشره بكل الوسائل المتاحة .

قضايا فكرية معاصرة

ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ

(١)

مركز الفكر المعاصر

المشرف العام

د. ناصر بن يحيى الحينى

المدير التنفيذي

وليد الدلبى

مدير التحرير

أمين العملى

التصميم والإخراج

محمد عثمان

رقم الإيداع ١٤٣٢/٣٣٤٦٠

ردمك ٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٧١٢٥-٨٠

مآلات القول بخلق القرآن

دراسة عقدية معاصرة

الدكتور / ناصر بن يحيى الحنيني

٦

نشأة القول بخلق القرآن

١٢

حقيقة القول بخلق القرآن

١٤

مآلات القول بخلق القرآن على مذاهب المتكلمين

٢٤

مآلات القول بخلق القرآن على مذاهب المعاصرين

للتنشر في السلسلة وكذا الإشتراك مراسلة

markazfekr@hotmail.com

هاتف: +٩٦٦١٤٥٣٩٨٨٣ فاكس: +٩٦٦١٤٥٣٢١٥٧

الرياض ١١٣٢٢ ص. ب. ٢٤١٤٧٠

كلمة التحرير

على خلاف ما يذهب له الكثيرون من أن مسألة خلق القرآن ، لم تعد أكثر من تاريخ لحركة الكر والفر في القرون الأولى للإسلام ، التي أفرزها الجدل الفكري مع التيارات المناوئة للإسلام ، لاسيما تلك التيارات التي حركها الغبن والكيد السياسي على الفاتح المسلم ، فأعمكت الحيلة والمكر الفكري لتفكيك مسلماته ، وزعزعة ثوابته العقيدية بإشاعة بعض الفلسفات الفارسية القديمة ، أو الذي حدث بطريق عفوي ، أوجبه التمازج الواسع مع ثقافات وديانات سابقة اكتسحت ديارها الفتوحات الإسلامية المتوالية وعلى الخصوص بلاد فارس ، والتي جاءت متسارعة وعلى الرغم من إن الدعوة والتعليم كانت مواكبة للفتوح إلا إنها لم تستوعب بطبيعة الحال التمدد الكبير لمسلمة الفتوح فظلت كثير من الوثنيات عالقة في نفوس المعتنقين الجدد ، أو نتيجة للتهوك الكبير على التراث اليوناني عبر النقل والترجمة ، الذي لم يميز بين الفث والثمين في علوم اليونان ، فنقل الفلسفات اليونانية الوثنية في الإلهيات ...

يحاول البحث أن يثبت أن المسألة برمتها ما زالت حاضرة بكل تفاصيلها في كثير من كتابات الفكر المعاصر ، يبقى الفرق فقط في المنطلقات ، فالمعتزلة الأوائل داخلهم ما أوجب القول عندهم بخلق القرآن من شبه نتيجة مناظراتهم التيارات المناوئة للإسلام ، وهم في ذلك واقفون موقف المدافع عن الإسلام الدأثدون عن حوضه في بعض الأحيان ، وإن خالطها كثيرا عند المتأخرين إتباع للهوى والتعصب الأعمى ، فحين أن العلمانية المعاصرة في دراساتها للقرآن انطلقت من نظرية الاعتزال في خلق القرآن ، وتخريجات الأشاعرة في مذهبها التوفيقي التلفيقي في قضية كلام الله ، لتمرر مشروع نزع القداسة عن القرآن الكريم ، وجعله كتاب يعكس فقط واقع الدعوة والرسالة في المجتمعات الأولى التي نشأت فيها ، والتطورات التي لحقت بها ، فهو ليس بالضرورة من عند الله ، مع إعمال مناهج النقد الغربية الحديثة في الفيلولوجي (اللغوي) والايبيستيمولوجي

(المعرفي) على القرآن الكريم ، خرجوا بما تواضعوا عليه بـ " تاريخانية القرآن " بمعنى أنه عمل بشري أفرزته وقائع التاريخ ، وغير خاف أنه لا يلتقي في النهاية مع مقولة الاعتزال في خلق القرآن فحسب ، بل تمثل فكرة الاعتزال نقطة الانطلاق ، وفي نفس الوقت المبرر الكاف لتمرير المشروع برمته في أذهان الأجيال اللاحقة بتقمص أفكار من التراث أو الإرث الإسلامي . من هنا كان مشروع البحث ومن هنا كانت أهميته .

وفي البحث بيان لأثر هذا الانحراف تجاه كلام الله وأبان عن عمق فهم سلفنا الصالح في التحذير من هذه البدعة وأنها تعود على أصل الدين بالهدم ، بل على كل الشريعة بالفساد والإبطال ، وتمثلت آثاره في القدح في الذات الإلهية وفي التشكيك في القرآن وصحته وإعجازه وتشريعاته ، مما هيئ أرضية خصبة لدعاة الإلحاد والزندقة في عالمنا العربي للنيل من الإسلام وأصوله ومصادره ، فالباحث رسالة إلى كل المتهاونين والمهونين من شأن هذه الانحرافات وليبين بجلاء عدم صحة اندثار البدع القديمة وأن كل بدعة لها من يروج لها بحسب أهدافه ومنطلقاته .

هيئة التحرير
العطبري



مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين أما بعد:

فإنه لا شك أن كتاب الله عز وجل هو المصدر الأول للتشريع في العقيدة والشريعة، وهذا أمر مجمع عليه عند كل مسلم، وهو من المسلمات التي لا يدخلها الشك عند المسلمين، ولا يستطيع أي عدو للإسلام والمسلمين أن ينال منه؛ لتجذره في عقيدة كل مسلم،

قَالَ صَلَّى ﷺ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ [الشورى ١٠] قَالَ صَلَّى ﷺ إِنْ نَزَعْنَاهُ

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﷺ [النساء: ٥٩]، وهو جزء من إعجاز هذا الدين، في كل جوانب الإعجاز التشريعية والبلاغية وغيرها، وقد حاول الأعداء النيل من القرآن لعظم أثره في حفظ دين الناس وثباتهم عليه فلم يستطيعوا النيل منه مباشرة فعمدوا إلى أساليب وألاعيب قد يندفع بها الجهال وحتى بعض من أوتوا نصيبا من العلم الذين اتبعوا أهواءهم وقل تعظيمهم للوحي المنزل من عند رب العالمين، وكان من هذه الدسائس التي ظهرت في القرون الأولى - لإضعاف هيبة النص القرآني في قلوب المسلمين - بدعة ما يسمى بـ (خلق القرآن)، وأنه ليس كلام الله بل مخلوق من المخلوقات مما رتبوا عليه إضعاف قداسته وهيئته في النفوس، وبهذا الأمر مع غيره من المكائد استطاعوا أن يفتوا بعض الفئات من المسلمين لتجاوز النصوص القرآنية

التي كانت حجر عثرة أمام مخططات أعداء الإسلام، ولما انتشر القول بخلق القرآن عند بعض المسلمين ظهرت له آثار وخيمة قديمة وحديثة أضرت كثيراً بالمسلمين وبعقيدتهم؛ حتى وصل الضرر إلى النيل من القرآن وقداسته صراحة، والقول بأنه نص مثل غيره من النصوص يقبل النقد والتعديل - نعوذ بالله من الكفر المستبين -؛ ولهذا كان هذا البحث حول مآلات القول بخلق القرآن وأثره على عقيدة الأمة في القديم والحديث بشكل مختصر

وأسأل الله التوفيق والسداد والإعانة إنه ولي ذلك والقادر عليه .



أن من أعظم الواجبات وأجل القربات هو الدفاع عن كلام الله عز وجل المقدس المنزل على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، وبيان كيد الأعداء وفضح مخططاتهم التي قد تخفي على كثير من المسلمين .

أهمية الموضوع

**تظهر أهمية هذا الموضوع من خلال
لأمر التالية :**

أولاً: أن القرآن مصدر التشريع لهذه الأمة، والقدح فيه والتشكيك في قداسته إخلال بهذا الأصل على وجه الخصوص وبالشرعية على وجه العموم مما يعود على غالب أحكامها بالإبطال؛ بل على أصولها ومحكماتها ووكلائها، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله " والاختلاف العظيم هو الاختلاف في تنزيله، وهذا الاختلاف بين المؤمنين والكافرين، فإن المؤمنين يؤمنون بما أنزل الله، والكافرين كفروا بالكتاب وبما أرسل الله به رسله فسوف يعلمون، فالؤمنون بجنس الكتاب والرسل من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين يؤمنون بذلك، والكافرون بجنس الكتاب والرسل من المشركين والمجوس والصابئين يكفرون بذلك، وذلك أن الله أرسل الرسل إلى الناس لتبليغهم كلام الله الذي أنزله إليهم، فمن آمن بالرسل؛ آمن بما بلغوه عن الله، ومن كذب بالرسل، كذب بذلك، فالإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى عباده، والكفر بذلك هو الكفر بهذا فتدبر هذا الأصل فإنه فرقان الاشتباه، ولهذا كان من يكفر بالرسل تارة يكفر بأن الله له كلام أنزله على بشر، كما أنه قد يكفر برب العالمين مثل فرعون وقومه .." أهـ. (١)

ثانياً: أن بعض المفكرين والمنتسبين للإسلام المعاصرين يهونون من شأن هذه البدعة، ويزعمون أن الحديث عنها مضیعة للوقت، وإشغال للفتن بين المسلمين، وإشغال لهم بغير طائل، والبحث يبين عظم وخطر هذه

البدعة وأثرها على الأمة في القديم والحديث، قال الإمام أحمد: " إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة وأن علم الله مخلوق ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون إنما يقولون القرآن مخلوق ويتهاونون به ويظنون أنه هين ولا يدرون ما فيه وهو الكفر" أهـ. (٢)، وقال الإمام وكيع: " لا تستخفوا بقولهم (القرآن مخلوق) فإنه من شر أقوالهم وإنما يذهبون إلى التعطيل" أهـ. (٣)

ثالثاً: بيان عظم فقه السلف في التحذير من هذه الفتنة العظيمة، وصبرهم على ما لقوا من الأذى في سبيل إنكارها، والتحذير منها، وما تخوف منه السلف عاصره الخلف ولمسوه وقرأوه بأعينهم في كتابات تسطر في كتب ومجلات تنسب إلى العلم والفكر، بوصل شيخ الإسلام حين يقول " ولكن السلف والأئمة أعلم بالإسلام وحقائقه، فإن كثيراً من الناس قد لا يفهم تغليظهم في ذم المقالة، حتى يتدبرها ويرزق نور الهدى، فلما اطلع السلف على سر القول نفروا منه" أهـ. (٤)

رابعاً: أن من أعظم الواجبات وأجل القربات هو الدفاع عن كلام الله عز وجل المقدس المنزل على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، وبيان كيد الأعداء وفضح مخططاتهم التي قد تخفى على كثير من المسلمين .

خامساً: بيان غلط من ينسب بدعة القول بخلق القرآن إلى عقيدة المسلمين وأنه من تراثهم، والبحث يبين أنها عقيدة فاسدة دخيلة من قبل الأديان المحرفة، ولهذا كانت آثارها سيئة ومآلاتها خطيرة فالقول بخلق القرآن جمع سؤات كثيرة من حيث فساد نفس البدعة وفساد مصدرها وفساد ما تؤول إليه .

من اليهود .

وممن أشار إلى هذا السند وأكد ابن الأثير وابن عساكر والصفدي وزادوا في نقلهم عن لبيد اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم أنه "كان يقول بخلق التوراة" (١٤) وقد نقل السلف كذلك نصوصاً عن رؤوس أهل البدع القائلين بخلق القرآن كبشر المريسي أنهم تأثروا باليهود ، فقد جاء عن الإمام وكيع أنه قال : "على المريسي لعنة الله ، يهودي هو أو نصراني ، فقال له رجل : كان أبوه أو جده يهودياً" أهـ. (١٥)

ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أبعد من هذه وهو تأثر الجعد بالفلاسفة الوثنيين في منطقة حران لأن بعض المؤرخين أشار إلى سكناه في حران (١٦) أخذ مقالته في خلق القرآن عن صابئة فلاسفة حران الذين يقولون : إنه ليس للرب إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما ..

يقول شيخ الإسلام حول هذا التأثير : " ولكن لما ابتدعت الجهمية القول بنفى الصفات في آخر الدولة الأموية ، ويقال إن أول من ابتدع ذلك هو الجعد بن درهم معلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكان هذا الجعد من حران وكان فيها أئمة الصابئة والفلاسفة" أهـ. (١٧)

وفي كلام السلف إشارات غير صريحة لمثل هذا المعنى فقد قال إسحاق بن عبد الرحمن : "بشر المريسي يقول يقول صنف من الزنادقة سيماهم كذا وكذا" أهـ. (١٨)

مدخل : نشأة القول بخلق

القرآن.

المعروف في كتب السنة والاعتقاد عند أهل السنة أن أول من قال ببدعة القول بخلق القرآن هو الجعد بن درهم ، يقول الإمام الهروي (٩) " وأما فتنة إنكار الكلام لله عز وجل : فأول من زرعها جعد بن درهم ، فلما ظهر جعد ؛ قال الزهري -وهو أستاذ أئمة الإسلام زمانئذ- "ليس الجعدي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم" أهـ. (١٠) ، فالزهري هو أول من عرف عنه إسناد هذه البدعة إلى الجعد ، ونقل هذا الرأي كذلك الدارمي حيث قال : "وكان أول من أظهر شيئاً منه بعد كفار قريش : الجعد بن درهم بالبصرة وجهم بخراسان.. " أهـ. (١١)

وأسند البخاري رحمه الله قصة قتله على يد خالد بن عبد الله القسري وأن سبب قتله هو نفيه لصفة الكلام عن الله عز وجل ، ونقل الأئمة في كتب الاعتقاد هذه القصة مسندة أيضاً. (١٢) ونقل هذا المؤرخون ، كابن الأثير ، وابن كثير ، والذهبي ، وابن عساكر والمحققون من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحم الله الجميع (١٣) .

ولكن السؤال : من أين أخذ الجعد بن درهم هذه العقيدة؟

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع (١٤) من كتبه أنه أخذها من بيان بن سميان (١٥) وأخذها بيان عن طالوت (١٦) ابن أخت لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وطلوت أخذها من لبيد (١٧) وهو

هل كان مقتل الجعد بن درهم تصفية سياسية ؟

عمل بعض الكتاب على إعطاء مقتل الجعد بن درهم من قبل الأمويين تفسيراً سياسياً ، إذ لم يعرف في الأمراء إذ ذاك غير عقيدة تدعوهم لتتبع أهل البدع وتصفيتهم سيما خالد القسري الذي رمي بحسب زعمهم بالنصب والعداء لعلي رضي الله عنه .

الأمر الأول : أن من أخذ هذا الموقف عن خالد القسري إنما اعتمد على أحكام صاحب كتاب العقد الفريد والأغاني وكلامهما من الشيعة لذا قال ابن كثير في التاريخ (٢١/١٠) : (والذي يظهر أن هذا لا يصح عنه، فإنه كان قائماً في إطفاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله للجعد بن درهم وغيره من أهل الإلحاد وقد نسب إليه صاحب العقد أشياء لا تصح، لأن صاحب العقد كان فيه تشيع شنيع ومغالة لأهل البيت)

وقال عنه الذهبي (٢٥/١٠) : (وكان جواداً ممدحاً معظماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف...) وعلم ذلك ابن الأثير : (فيل كان يفعل ذلك نفياً للتهمة وتقرّباً إلى القوم وقال: وكان خالد يصل الهاشميين ويبرهم)

فهذه أقوال أئمة السنة في التاريخ يعدلون في وصفه ... ومما يقوي هذا القول أن خالداً ثبت عنه أنه قتل بيان بن سميان من الغلاة الثاقلين بأثوية علي بن أبي طالب رضي الله عنه (الملل والنحل ١/١٥٢، ١٥١)

الأمر الثاني : أن الروايات التاريخية تثبت أن المبادرة في قتل الجعد كانت من هشام بن عبد الملك بتوجيه من ميمون بن مهران ، وقد كان هشام معروفاً عنه شدته على أهل البدع فقد قتل غيلان الدمشقي الذي أظهر القول

بنفي القدر في أيام عمر بن عبد العزيز ، فأحضره عمر ، واستنابته ، فتاب ، ثم عاد للكلام فيه أيام هشام ، فأحضره من ناصرة ثم أحضر له الأوزاعي لمناظرته ، فأقتى الأوزاعي بقتله ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، ثم أمر به فصلب . كما أصدر أمراً لواليه يخرسان نصر بن سيار بطلب الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم وقتله (كما عند أبي حاتم) ، ولكن هشاماً توفي سنة (١٢٦هـ) ولم يدرك قتله الجهم سنة (١٢٨هـ) . فهذه ثلاث مناقب لهشام تظهر شدته على أهل البدع

الأمر الثالث : أن الجعد بن درهم لم يكن يمثل أي تهديد للنظام ، ولم تذكر عنه أي مطامع شخصية في السلطة ولم يعرف أنه طلبها لتبره ، فهو لم يكن له قتل سياسي معروف ، فقد كان من الموالي والعمل السياسي آنذاك بيد العرب فهم الولاة وهم القادة وهم أهل الحل والعقد والرأي والمشورة ، ولم يكن للموالي دور سياسي إلا في عهد العباسيين ولذلك فإن هذه الدغوى أو هن من بيت المنكوبت. والحقيقة أن قتل الجعد كان لزندقته

الأمر الرابع : أن الانحراف لم يظهر في أمراء بني أمية إلا في اثنين من الأمراء الأول : «يزيد الثاني ١٢٦هـ» والذي يلتب بيزيد الناقص وقد تولى الخلافة سنة ١٢٦هـ وكان قديراً حتى أنه ولي على العراق منصور بن جمهور وكان يدين بمذهب الفيالانية القدرية لكن خلافة يزيد لم تزد على ستة أشهر. والثاني : مروان بن محمد الملقب بمروان الحمار. وكان آخر خلفاء بني أمية وتولى الخلافة (١٢٧هـ - ١٢٢هـ) وقد تعلم من الجعد ابن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن، والقدر وغير ذلك. وكان يسمى بمروان الجعدي.

راجع : مقالة التعتيل والجعد بن درهم للدكتور

محمد خليفة التميمي .

، ولا قدرة له ، ولا حياة له، ولا سمع له ، ولا بصر له ، ولا عزله ، ولا جلال له ، ولا كبرياء له ، وكذلك قالوا في سائر صفات الله عز وجل التي يوصف بها لنفسه، وهذا قول أخذوه عن

وأشار كذلك الأشعري في المقالات لمثل هذا المعنى وأنه مأخوذ عن الفلاسفة حيث قال : "وقالوا - أي المعتزلة-: إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لا صفات له ، وإنه لا علم له

كان المؤسس الحقيقي لها (أفلوطين)^(٢٥) وهو أيضاً ممن تأثر بأقوال (فيلون)^(٢٦)، وملخص ما يعرف عن فيلون أنه حاول المزج بين المعتقدات اليهودية والفلسفة اليونانية وخرج بأراء تخالف من سبقه من الفلاسفة اليونان، وأثرت على من بعده كالفيلسوف المشهور (أفلوطين).

وقد تأثر هذا الفيلسوف اليهودي المتدين بالفلسفة اليونانية لأنها كانت فتنة عصرهم وغزت العقول في ذلك العصر، يقول صاحب قصة الحضارة: "ولكنه افتتن بالفلسفة اليونانية، فجعل هدفه في الحياة أن يوفق بين الكتاب المقدس وعادات اليهود من جهة، والآراء اليونانية وبخاصة فلسفة أفلاطون" ، وأقدس القديسين "من جهة أخرى" أ.هـ.^(٢٧)

وقد ذهب في التأثير بالفلسفة ومحاولة التوفيق بينها وبين دينه ومعتقده إلى القول بأن كل الأفكار اليهودية توجد في الفلسفة اليونانية، وحاول أن يفسر النصوص الدينية تفسيراً رمزياً^(٢٨)، وكان من أبرز معتقداته بأن يصف الله بالسلوب كما هي عادة أهل الكلام الذين أخذوها عن هؤلاء الفلاسفة، وكان ينفي عن الله جميع الصفات ولا يبقى إلا صفة الوجود فقط، وكان ينعت بالموجود بلا كيف ولا صفة، ونفس كلام فيلون هو كلام الجهمية والمعتزلة والتطابق واضح.

وثمة أمر آخر يبين التطابق بشكل أكبر

إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل، ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير..... إلى أن قال: غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلسفة تظهره، فأظهروا معناه بنفيهم أن يكون للباريء علم وقدرة وحياة وسمع وبصر، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلسفة تظهره من ذلك؛ ولأفصحوا به، غير أن خوف السيف يمنعه من إظهار ذلك "أ.هـ."^(٢٩) بل إن الأشعري نص على أن بعض أئمة الاعتزال كأبي الهذيل العلاف^(٣٠) أخذ هذا الكلام في الصفات متأثراً بأرسطو طاليس^(٣١) الفيلسوف المشهور.

القول بخلق القرآن وصلته باليهود

ولكن يبقى السؤال الذي أثاره بعض الباحثين^(٣٢) أن المشهور عن اليهود أنهم مشبهة وليسوا نفاة للصفات، وهذه القضية التي تثار للتشكيك في نقل شيخ الإسلام وغيره من المحققين من المؤرخين كابن الأثير والذهبي وابن كثير في أن أصل هذه المقولة من اليهود، ويمكن الجواب عنها بما يلي:

أن هذا الرأي تبناه وقال به بعض الفلاسفة اليهود الذين خالفوا أقوال الأحرار المتمسكين بنصوص التوراة، وبعد البحث والتقصي تبين لي -والله أعلم- أن ممن كان له أثر كبير الفيلسوف اليهودي الذي عاش في الإسكندرية (فيلون)^(٣٣)، ويعتبر من رواد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة^(٣٤)؛ وإن

الأفلاطونية الحديثة

(٢٥٠ ق.م حتى ٥٥٠ م)

"أن المسيحية مدين لأفلاطون باكتسابها التركية اللاهوتية في موضوع التثليث منه". ويرد قائلًا: "إن كل الأفكار اللاهوتية المسيحية ما هي إلا تجسيد لأفكار أفلاطون ، وإن فكرة التثليث هي من إنتاجه الفكري لوحدته تبناه اللاهوتيون المسيحيون..." فإذن العلاقة بين المسيحية والأفلاطونية علاقة تأثير وتأثر كما أثرت الأفلاطونية الجديدة في تفكير كثير من الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا والفارابي وغيرهم، وأخذوا عنها نظرية الفيض الإلهي، التي تدعي أن العالم يجري صدوراً عن الله في صورة فيض، فمرتبة تفيض عن مرتبة... وهكذا حتى تصل إلى أدنى المراتب، وبها فسروا ظاهرة الوحي بالقوة المتخيلة "إذا بلغت قوة الإنسان المتخيلة نهاية الكمال أن يقبل في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلية أو محاكياتها من المحسوسات، ويقتل محاكيات المعقولات المارقة وسائر الموجودات الشريفة ويرأها ، فيكون له بما قبله من المعقولات ثبوت بالأشياء الألهية " وهذا عبارة الفارابي... وهي الفكرة التي طرب لها كثيراً حامد أبو زيد في " مفهوم النص " وبناء عليها ترهاته ...

وأثرت الأفلاطونية الجديدة كذلك في التصوف الإسلامي، وخاصة في المتصوفين المتأثرين بالفلسفة، ثم فشا تأثيرها في طرق التصوف، وخاصة فيما يتعلق بعملية التطهير أو التزكية للوصول إلى المعرفة الكاملة أو الإيمان الكامل، وهو سعي الإنسان جاهداً للوصول إلى المصدر الذي صدر عنه والفناء فيه، وما يحتاج إليه ذلك من مجاهدة شديدة الصلابة لإماتة نوازع الجسد المفسود عليها.

نسب إلى الفيلسوف اليوناني أفلاطون لأنها في جملتها أميل إلى الأخذ عن مذهب أفلاطون والنزوع إلى فلسفته خاصة خيالاته في عالم المثل، لكن خلطها بالإلهام الشرقي، فهي بشكل عام خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية واليهودية والنصرانية والأساطير وغيرها ، إلا أن ما جاء به أفلاطون من أفكار وآراء حول عملية الفيض أو الصدور عن الله تمثل الإضافة الخاصة بأفلاطون، إذ يُعد أفلاطون (ولد سنة ٢٠٥ م في مدينة "ليقوبوليس" مدينة أسيوط حالياً) هو المؤسس الحقيقي للمدرسة الأفلاطونية الحديثة، ويعتبر أهم مجدد لبنائها وأكبر حامل لولائها، ويستوحي أفلاطون مبادئ فلسفته أساساً من أفلاطون، لذلك سميت فلسفته بـ "الأفلاطونية الحديثة" وبشكل خاص يطور أفلاطون بعض الأفكار الأساسية التي وردت في بعض المحاورات الأفلاطونية؛ كي يكون تصوراً خاصاً به للوجود والعالم والمنزلة الإنسان.

أركان هذه الفلسفة هي ثلاثة اقانيم، لكن لكل من هذه الاقانيم خصوصيته، الإله الواحد أو الإله الأول الذي هو ساكن، ومنه يصدر العقل الكلي أو اللوغوس الذي يحتوي على مثل الأشياء لفلسفة أفلاطون ومن العقل الكلي تصدر النفس الكلية ومنها تخرج النفوس الجزئية بشكل هيولي (مادي) .

وقد راقبت فكرة الاقانيم الثلاثة للاهوتيين المسيحيين فأخذوا بها ، يقول (دين انج) في كتابه الفريد عن الأفلاطونية عن هذا الموضوع حيث يقول

قررهما فيلون وعند النصارى ، وهي التي بنى عليها أهل الكلام قولهم بخلق القرآن سواء على مذهب المعتزلة أو حتى على مذهب الأشاعرة بالقول بالكلام النفسي - كما

وهو أن هناك نظرية تسمى نظرية الوسائط وهي تسمى عنده (فكرة الكلمة)، وتسمى (نظرية اللوغوس)^(٢٩) باليونانية ، وهي فكرة عند اليونان وتطورت عند اليهود كما

مذهب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وأن أصول فكرتهم بالقول بخلق القرآن أو بالكلام النفسي مأخوذ عن اليهود واليونان ، وينقل الدكتور كلام من أراد أن يرفع التناقض الذي وقع فيه فيلون حول نظرية الكلمة ، وجعلها مرة منفصلة مخلوقة ومرة صفة من صفاته فيقول: "فأما أصحاب الرأي الأول فيرفعون هذا التناقض بأن يفرقوا بين الكلمة النفسية وبين الكلمة الخارجية ، ويهيئون هنا بتفرقة تجدها عند فيلون فيما يتصل بالإنسان ، ففيلون يذكر أن الكلام عند الإنسان ينقسم إلى قسمين : كلام نفسي وهو الذي يكون عبارة عن تصورات ذهنية ، لا يعبر عنها بالخارج بأصوات ، وكلام خارجي يعبر عنه في الخارج باللفظ أو الصوت ، وتبعاً لأصحاب هذا الرأي سيكون كلام الله منقسماً إلى هذين القسمين : إلى كلام نفسي وهو اللوغوس بحسبانه العلم كصفة من صفات الله ، وإلى كلام خارجي هو اللوغوس بوصفه الصورة المعقولة التي هي نموذج الأشياء" أ.هـ^(٢١)

وبهذا النقل يتبين تأثير الفلسفة اليونانية على الديانة اليهودية التي اعتنق منظروها كثيراً من انحرافاتهما وفسروا به نصوص التوراة واعتقاداتهم في كلام الله عز وجل .

وختاماً أنقل لك نصاً صريحاً عن هذا الفيلسوف (فيلون) يقرر نفس عقيدة الجعد والجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن وأن مصدرها من فلاسفة اليهود المتأثرين بالفلسفة اليونانية حيث يقول -حاكياً قصة تكليم الله موسى على طور سيناء : " وفي

سوف نبينه إن شاء الله - ، ويرى الدكتور عبد الرحمن بدوي أن هذه النظرية أخذها فيلون عن اليهود وعن اليونان وهو الذي أثر على المسيحية بهذه الفكرة ، ويقول الدكتور بدوي : " وأياً ما كان الرأي فإنه يشاهد أن اليهودية في كتاباتها المقدسة كان لها أثر كبير ، في تفكير فيلون من حيث نظرية اللوغوس ، ولكن الأثر الحقيقي الأكبر في هذه الفكرة عند فيلون هو الفلسفة اليونانية " أ.هـ^(٢٢) ، وهذا يؤكد ما قرره الأئمة وشيخ الإسلام أن هذه العقيدة مأخوذة عن اليهود المتأثرين بكلام الفلاسفة اليونانيين .

فما هي فكرة الكلمة ؟

هي فكرة مزيج بين القول بأن صفة الكلام من خلق الله وبين القول بوحدة الوجود ، فالفيلسوف اليهودي فيلون يرى أن هناك وسائط بين الله وبين خلقه وهي هذه الكلمة ويسمئها بالقوى الإلهية ، وهذه الكلمة أو اللوغوس يتناقض في وصفها فمرة ينعتها بأنها ليست أزلية كالله كما أنه ليس فانيا كالمخلوقات ، ويرى أن البدء كان من الله وتارة يصف اللوغوس بأنه صفة من صفات الله وهو العلم وعليه فهي جانب من جوانب الله وشيء باطن فيه ، ومرة يقرر أنه صدر صدوراً خارجياً عن الله بمعنى أنه ليس صفة له ، وهو شيء قد صدر وانفصل عنه ، وهذا حقيقة مذهب الجهمية والمعتزلة في كلام الله .

ولعلي أسوق كلاماً لبدوي نفسياً يبين حقيقة النظرية ، وكيف أنها تتطابق مع

حِران

الصابئة الذين إحتالوا لحسن دعاتهم على المأمون الخليفة العباسي بأية الصابئين في قصة مشهورة:

وفي أواخر العصر الأموي انتقلت إليها عاصمة الدولة، إذ جعلها مروان الثاني بن محمد مقراً لإقامته ونقل إليها دواوين الدولة وإداراتها... ليكون على مقربة من خصومه العلويين والعباسيين كانت اللغة السائدة في حِران اللغة السريانية وهي لغة سكانها الأصليين، وكان علماءها يتقنون إلى جانب لغتهم اللغة اليونانية ويتمثلون الحضارة الإغريقية، هذا بالإضافة إلى إتقانهم لغة العربية، لغة الدولة الرسمية، لذا كان من السهل على علمائها ومتقفيها أن ينقلوا إلى اللغة العربية أمهات الكتب العلمية والثقافية سواء منها اليونانية أو السريانية، وقد شجعهم على ذلك ما أُعِدَّه عليهم بعض خلفاء بني العباس من أموال وهبات، وما أظهره نحوصهم من احترام وتقدير، وبرر في مقدمة هؤلاء العلماء ثابت بن قرة مترجم علوم اليونان وأولاده ومحمد البتاني عالم الفلك المشهور... لكن أفضل من جادت به حِران على الإطلاق في عصور الإسلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فإنه حِرائي الأصل.

بتصرف كبير عن مقالة إلكترونية: حِران المدينة المنسية - عبد الرحمن بدر الدين

مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين. تقع حالياً في تركيا. اشتهرت حِران قديماً بسبب عاملين: أولهما وقوعها على طريق تجاري هام يصل بين آسيا الوسطى وبلاد الشام، وثانيهما كونها مثلت مركزاً دينياً ارتبط بعبادة إله القمر (سين) الذي كان الآشوريون يقدمونه فيقدمون له الذور والهدايا.

كان لموقع حِران التجاري قبل الميلاد أهمية كبرى في تنوع سكانها فلقد استوطنها مكدونيون جاءوا مع الاسكندر المقدوني، وقد أطلقوا على آلهة حِران أسماء يونانية، كما استقر فيها سوريون وفرس وأرمن وعرب.. وبقيت هذه المدينة محافظة على وثيقتها حتى بعد انتشار المسيحية.

وفي عصر الخليفة عمر بن الخطاب، استسلمت حِران للقائد العربي عياض بن غنم عام ٤٩هـ/٦٣٩م وكانت تعد آنذاك حاضرة بلاد مضر العربية

بقيت حِران خلال الحكم الأموي تنعم إجمالاً بهدوء نسبي تمارس أعمالها التجارية وتنايع معتقداتها الدينية التي كانت مزيجاً من الديانة البابلية القديمة واليونانية والأفلاطونية الحديثة. وجميع هذه المعتقدات ذات طابع وثني بالإضافة إلى

ليست من كلام الله ، بل خلقها الله في الهواء أو صنفها جبريل أو محمد... "أ.هـ" (٣٤)

بل قرر صاحب كتاب "فلسفة الكلام" بأن هذه العقيدة ؛هي القول بأن كلام الله مخلوق هي عقيدة سائر اليهود الآن (٣٥).

ولعل السر في ذلك والله أعلم كردة فعل على الافتراءات والتشبيه والتجسيم المكذوبة على الله في التوراة كما أشار بعض نقاد التوراة من اليهود ،وقام بهذه المهمة فلاسفتهم المتأثرون بالفلسفة اليونانية كما ذكرنا سابقاً. (٣٦)

ذلك الوقت ،أجرى الله تعالى معجزة مباركة فأمر بخلق صوت غير مرئي في الهواء ، وهذا الصوت كان صوتاً ناطقاً ومسموعاً.. " (٣٧)

وهو عين كلام الجهمية والمعتزلة الذين نقل من كتب الفرق أقوالهم وعقائدهم . (٣٨)

وقارن هذا الكلام عن هذا الفيلسوف اليهودي حول كلام الله بما نقله شيخ الإسلام عن بعض أرباب المذهب الأشعري حيث يقول -رحمه الله - عن اعتقادهم في القرآن: "إنه معنى قائم بذات الله فقط ،وأن الحروف

حقيقة القول

بخلق القرآن ومن قال به

المشهور أن القول بخلق القرآن هو قول الجهمية والمعتزلة^(٢٧) وتأثر بهم فيما بعد متأخرو الشيعة والخوارج^(٢٨)، وبسط الكلام حول هذه القضية ليس الهدف من هذا البحث المختصر لأنه معلوم ومشهور عند كل من له عناية بعلم العقيدة والفرق الإسلامية، ولكن الذي نريد أن نجليه ونوضحه هنا أن مذهب الأشاعرة والماتريدية في كلام الله أنه عبارة عن كلام الله وكلام الله على الحقيقة المعنى النفسي، وأن الذي بين أيدينا وبين الدفتين مخلوق وهو ليس كلام الله حقيقة، وعند التحقيق لا نجد فرقاً جوهرياً مع المعتزلة في القول بخلق القرآن، ومرة معنا الخلاف في أصولها اليونانية اليهودية، وأنها كلها تنزع القداسة عن كلام الله المكتوب في المصاحف.

ولهذا يقرر شيخ الإسلام أن الأشعري ينص على أن كلام الله العربي الذي بين أيدينا مخلوق، ونص عبارته: "ولكن المشهور عنه - أي الأشعري - أن الكلام العربي مخلوق، ولا يطلق عليه بأنه كلام الله" أ.هـ.^(٢٩) بل ينص شيخ الإسلام على عدم الفرق بين قول المعتزلة والجهمية وبين قول الأشاعرة والكلاية حيث يقول: "فإن هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولاً قبل أن يصل إلينا، وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم في إثبات خلق القرآن العربي، وكذلك التوراة العبرية، ويفارقه من

وجهين: أحدهما أن أولئك يقولون أن المخلوق كلام الله وهم يقولون إنه ليس كلام الله لكن يسمى كلام الله مجازاً هذا قول أئمتهم وجمهورهم، وقال طائفة من متأخريهم: بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي، لكن لفظ هذا الكلام ينقص أصلهم في إبطال قيام الكلام بغير المتكلم به، ومع هذا لا يقولون أن المخلوق كلام الله حقيقة كما يقولوه المعتزلة مع قولهم أنه كلام حقيقة، بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله وهو كلام حقيقة، وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية، ومن هذا الوجه نقول: المعتزلة أقرب، وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة، لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء وإنما ينازعونهم في اللفظ، الثاني أن هؤلاء يقولون: لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته، و(الخلقية)^(٤٠) يقولون لا يقوم بذاته كلام، ومن هذا الوجه الكلاية خير من (الخلقية) في الظاهر، لكن جمهور الناس يقولون إن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاماً له حقيقة غير المخلوق، فإنهم يقولون إنه معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا، ومنهم من قال هو خمس معان. "أ.هـ."^(٤١)

وحتى لا يكون الكلام بغير برهان ولا دليل أسوق بعض كلام أئمة الأشاعرة والماتريدية في القديم والحديث يؤكد ما قررناه سابقاً عنهم، وذلك بتصریحهم بأن القرآن الموجود

إثبات كلام النفس ونفيه ، وأن القرآن هو المتلوه هذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي ، وإلا فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي "أهـ" ^(٤٦) وهذا تصريح واضح بالاتفاق مع المعتزلة بالقول بخلق القرآن . ^(٤٨)

فخلاصة بحثنا أن ما نقرره من مآلات فاسدة مفسدة لعقيدة المسلمين ينصب على المعتزلة والأشاعرة والماتريدية لأنهم متفقون على أن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق . ^(٤٩) ويقرر شيخ الإسلام أن حقيقة قول الأشاعرة استفاضت عند الناس أن القرآن ليس كلام الله وأن كلامهم متناقض وأنهم من بعض الوجوه تكون المعتزلة أخف منهم بدعة . ^(٥٠) ، وأن مآذم السلف به المعتزلة ينال الأشاعرة منه النصيب الأوفى . ^(٥١) ، ورحم الله ابن قدامة حين قال : " وعند الأشعرى أنها - أي السور والآيات - مخلوقة ، فقوله قول المعتزلة لا محالة ، إلا أنه يريد التلبيس فيقول في الظاهر قولاً يوافق أهل الحق ، ثم يفسره بقول المعتزلة "أهـ" . ^(٥٢)



الآن في أيدينا مخلوق ، وأن القول بأن كلام الله نفسي وأن الموجود عبارة عن كلام الله قضية مشكلة ومجيرة بين أوساط الأشاعرة . -يقول إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: " فإن معنى قولهم -يعني المعتزلة - (هذه العبارات كلام الله) أنها خلقه ، ونحن لا نكر أنها خلق الله .. "أهـ" . ^(٤٧)

-ويقول الرازي : " واعلم إن التحقيق أن لا نزاع بيننا وبينهم في كونه متكلماً بالمعنى الذي ذكره " ^(٤٧) ، قال شيخ الإسلام معقياً : " الوجه الثالث : أن الرجل قد أقر أنه لا نزاع بينهم وبين المعتزلة من جهة المعنى في خلق الكلام بالمعنى الذي يقوله المعتزلة ، وإنما النزاع لفظي حيث إن المعتزلة سمت ذلك المخلوق كلام الله ، وهم لم يسموه كلام الله "أهـ" . ^(٤٤) -، يقول أبو المعين النسفي : " فأسمعه جبريل بالصوت والحروف فخلق صوتاً فسمعه بذلك الصوت والحروف .. "أهـ" . ^(٤٥) -يقول الباجوري : " واعلم إن كلام الله تعالى يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى : أنه صفة قائمة بذاته ، كما يطلق على الكلام اللفظي بمعنى : أنه خلقه "أهـ" ، ومع هذا نرى تناقض هؤلاء وخلقهم من البوح بهذا المعتقد القبيح لعامة الناس فيستدرك الباجوري على الكلام السابق ويقول : " ومع كون اللفظ الذي نقرأه حادثاً لا يجوز أن يقال : القرآن حادث إلا في مقام التعليم .. "أهـ" . ^(٤٦)

ويقول التفتازاني : " فبقي النزاع بيننا وبين المعتزلة ، وهو في التحقيق عائد إلى

مآلات القول بخلق القرآن علمه فصل : ١

مذاهب المتكلمين (كما قرره السلف)

حق الرسالة المحمدية ، وفي الشريعة الإلهية برمتها ، ولعلي أذكر بعضاً من هذه المآلات التي أشار إليها السلف وسطروها في كتبهم ، حفظاً لعقيدة المسلمين ، ودفاعاً عن كلام رب العالمين ، مع صبرهم وثباتهم رغم ما لقوهم من عنت ومشقة وأذية بسبب وقوفهم أمام هذه البدعة العظيمة ، والفرية الشنيعة ، وأبرز هذه المآلات ما يلي:

المالك الأول : (إن الله أو شيئاً من صفاته يكون مخلوقاً).

من فقه السلف - رحمهم الله - أنهم تنبهوا إلى خطورة القول بخلق القرآن ومن أعظم ما تؤول إليه هذه البدعة الخطيرة ، والزلة العظيمة؛ هو القدح في ذات الرب ، والتدرج إلى اعتقاد أمر قد يكون مستبعداً في بداية الأمر ، ولكن مع مرور الأزمان ، وغلبة الجهل ، ودروس العلم قد يقال: إن الله أو شيئاً من صفاته مخلوق ، وحتى لو لم يُقل صراحةً ففيه نزع ومساس بقديسية وتعظيم الرب جل وعلا وأسمائه وصفاته في قلوب من يقولون بهذا القول المبتدع ، ويؤمن السلف أن الزنادقة الطاعنين في الإسلام يتدرجون في القدح في الدين وأصوله ومسلماته من خلال هذه الأقول المبتدعة ، قال الإمام مالك : " القرآن كلام الله عز وجل ، وكلام الله

إن من يتأمل موقف السلف الصارم والقوي من القول بخلق القرآن يدرك تمام الإدراك عمق فهمهم ورسوخ قدمهم في فهم نصوص الكتاب والسنة واطلاعهم على دقائق مقالات الفرق الضالة ، وما تؤول إليه وإن لم يصرحوا بها ، ولعظم هذه الفرية في حق كلام الله وفي المصدر الأول في التشريع الإسلامي كانت فتواهم التي أجمعوا عليها : أن من يقول بخلق القرآن فهو كافر^(٥٢) ، وأكتفي هنا بذكر كلام الإمام اللالكائي بعد أن سرد أقوال السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم حتى عد خمسمائة وخمسين نفساً قال : " قالوا كلهم القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر ، فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس أقوالهم وتدينوا بمذاهبهم ، ولو اشتغلت بنقل أقوال المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة ، لكنني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار . ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو وصله "أهـ.^(٥٣)

ومما يؤيد هذا الحكم ويعضده نقلاً وعقلاً هو بيان ما تؤول إليه من مآلات فاسدة في حق الله جل وعلا وذاته المقدسة ، وفي

كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٠﴾ [النحل: ٤٠] ^(٥٩) ، ومما استدل به السلف على هذا الأمر وأن القول بخلق القرآن يؤدي إلى القول بأن الله أو شيئاً من صفاته مخلوق : قوله عز وجل : ﴿ وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [السجدة: ١٣] ، وما كان منه فهو غير مخلوق ، وهذا كله إشارة إلى أعظم مآل وهو :

أن يكون شيء من صفات الله أو ذاته مخلوقاً. ^(٦٠) قال الأشعري -تعليقاً على هذه الآية- : " وكلام الله من الله تعالى ، فلا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقاً في شجرة مخلوقة ، كما لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقاً في غيره تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً " ^(٦١) أهـ .

ويقول الإمام ابن بطه : " فزعموا أن القرآن مخلوق ، والقرآن من علم الله تعالى وفيه صفاته العليا وأسماؤه الحسنى ، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله كان ولا علم ، ومن زعم أن أسماء الله وصفاته مخلوقة فقد زعم أن الله مخلوق محدث ، وأنه لم يكن ثم كان ، تعالى الله عما تقوله الجهمية الملعونة علواً كبيراً " ^(٦٢) أهـ .

ويقول الإمام السجزي بعبارة أكثر وضوحاً : " لأن من قال : إنه مخلوق صار منكراً لصفة من صفات ذات الله عز وجل ، ومنكر الصفة كمنكر الذات ، فكفره كفر جحود لا غير " ^(٦٣) أهـ .

والإمام أحمد يقدم لطلابه دليلاً عقلياً على هذه النتيجة الخطيرة لمن يقول بخلق القرآن فقد سئل : إن الناس قد وقعوا في أمر

تعالى من الله سبحانه ، وليس من الله جل وعلا شيء مخلوق " ^(٥٥) ، وقال الإمام أحمد " من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق " ^(٥٦) ، ونص السلف -رحمهم الله - أن هذا القول أصل الزندقة بناء على ماسبق ذكره لأنه يعود بالقدح على ذات الرب جل وعلا ؛ فقد سأل رجل عبد الله بن إدريس عمن يقول : القرآن مخلوق -من اليهود ؟ قال : لا ، قال : من النصارى ؟ قال : لا ، قال : من المجوس ؟ قال : لا ، قال : ممن ؟ قال : من أهل التوحيد ، قال : معاذ الله أن يكون هذا من أهل التوحيد ، هذا زنديق . من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أن الله عز وجل مخلوق ، يقول الله عز وجل : بسم الله الرحمن الرحيم ، فالرحمن لا يكون مخلوقاً ، والرحيم لا يكون مخلوقاً ، والله لا يكون مخلوقاً ، فهذا أصل الزندقة " ^(٥٧) أهـ .

وبين السلف أيضاً بالتفصيل كيف يؤول هذا القول الفاسد لمثل هذه النتيجة الخطيرة فقد نقل عن الشافعي كما جاء عن البويطي صاحب الإمام الشافعي أنه قال : " : إنما خلق الله كل شيء بـ (كن) ، فإن كانت (كن) مخلوقة فمخلوق خلق مخلوقاً " ^(٥٨) أهـ . قال : فحكاه الربيع قلت (القائل اللالكائي) : " وهذا معنى ما يعبرون عنه العلماء اليوم : إن هذا (كن) الأول كان مخلوقاً ، فهو مخلوق بـ (كن) أخرى ؛ فهذا يؤدي إلى ما يتناهى ، وهو قول مستحيل " ^(٥٨) أهـ .

وكلام الشافعي استنبطه من قول الله جل وعلا ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ

فأخبرته فقال : صدق أبو محمد عافاه الله ،
ما كان الله ليأمرنا أن نعبد مخلوقاً" أهـ^(٦٧)

وقد أنشد الإمام ابن المبارك^(٦٨) : لا أقول
بقول الجهم إن له قولاً يضارع قول الشرك
أحياناً وجاء عن سوار بن عبد الله القاضي
يقول : " دخلت على رجل أعوذ من وجع به
، فقال : القرآن ليس بمخلوق ، وذلك أنه كل
من عوذني قال أعيذك بالله ، أعيذك بالقرآن
، فعلمت أن القرآن ليس بمخلوق" أهـ^(٦٩) ،
وقال الإمام البخاري : "باب ما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يستعين بكلمات الله لا
بكلام غيره ، وقال نعيم : لا يستعاض بالمخلوق
ولا بكلام العباد ، والجن والإنس والملائكة
" قال البخاري : وفي هذا دليل أن كلام الله
غير مخلوق وأن سواه خلق" أهـ^(٧٠) ، ويقول
شيخ الإسلام ابن تيمية : "ولهذا كان السلف
يقولون في هذه الآية - يعني قوله تعالى ﴿إِنِّي
أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه : ١٤] -
وأمثالها : من قال : إنه مخلوق فقد كفر ،
ويستعظمون القول بخلق هذه الآية وأمثالها
أكثر من غيرها يعظم عليهم أن تقوم دعوى
الإلهية والربوبية لغير الله تعالى" أهـ^(٧١) .

المال الثالث : وصف الله بالنقائص والعيوب

ومما آل إليه القول بخلق القرآن جملة
من النقائص والعيوب في حق الله عز وجل
نجمها فيما يلي :

١- اعتقاد أن شيئاً من ذاته أوصفاته
يفنى ويبيد : وقد استنبط هذا المآل أهل السنة

القرآن فكيف أقول ؟ قال الإمام أحمد : أليس
أنت مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : فكلامك منك ،
مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : أوليس القرآن من
كلام الله ؟ قال : نعم ، قال : فيكون من الله
شيء مخلوق ؟^(٦٤)

ويقول شيخ الإسلام -معلقاً على هذا
الاستدلال من الإمام أحمد - : "بين أحمد
للسائل أن الكلام من المتكلم وقائم به ، لا
يجوز أن يكون الكلام غير متصل بالمتكلم ، لا
قائم به ، بدليل أن كلامك أيها المخلوق منك
لا من غيرك ، فإذا كنت أنت مخلوقاً وجب
أن يكون كلامك أيضاً مخلوقاً ، وإذا كان الله
تعالى غير مخلوق امتنع أن يكون ما هو منه
وبه مخلوقاً" أهـ^(٦٥) .

المال الثاني : (تجويز الشرك بالله)

ويستدلون بأنه يستعاض بكلمات الله ومن
زعم أن القرآن مخلوق فكأنه يجيز أن يستعاض
بمخلوق وهو شرك بالله العظيم ، فمآل من
قال إن القرآن مخلوق أنه يجوز أن يشرك
بالله ويستعاض بمخلوق .

قال اللالكائي : "وقال تعالى : ﴿وَأَعْبُدُوا
اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ سَمِيحًا﴾ [النساء : ٣٦] ، ومن أعظم
الشرك أن يقال : إن العبادة لاسمه واسمه
مخلوق ، وقد أمر بالعبادة للمخلوق" أهـ^(٦٦) .

"وسأل رجل النضر بن محمد عن
القرآن فقال النضر : من قال بأن هذه الآية
﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه : ١٤]
مخلوقة فقد كفر . فلقيت عبد الله بن المبارك

إلزام أهل البدع القائلين بخلق القرآن (٧٢) .

ربنا ليست بمخلوقة" أهـ (٧٤)

ومن ذلك ما سطره الإمام الدارمي حيث يقول: "وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدُّ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٧] وصدق وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو جميع مياه بحور السموات والأرض وعيونها وقطعت أشجارها أقلاماً ، لنفدت المياه ، وانكسرت الأقلام قبل أن تنفذ كلمات الله ، لأن المياه والأشجار مخلوقة ، وقد كتب الله عليها الفناء عند انتهاء مدتها ، والله حي لا يموت ، ولا يفنى كلامه ، ويزال متكلماً بعد الخلق ، كما لم يزل متكلماً قبلهم ، لا يُنفد المخلوق الفاني كلامَ الخالق الباقي الذي لا انقطاع له في الدنيا والآخرة ، ولو كان على ما يذهب إليه هؤلاء الجهمية أنه كلام مخلوق أضيف إلى الله وأن الله عز وجل لم يتكلم بشيء قط ، ولا يتكلم بشيء قط ، ولن يتكلم لنفد كل مخلوق من الكلام قبل أن ينفد ماء بحر واحد من البحور .." أهـ (٧٣)

وقال الإمام التيمي: "وقال في كتابه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ الآية يفسره قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدُّ﴾ الآية يعني يكتب بها كلمات الله وكان البحر مداداً لم ينفد كلمات ربنا ، ولم يرد بالبحر بحراً واحداً ، أعلم الله تعالى : أنه لو جيء بمثل البحر مداداً وزيد على مائه سبعة أبحر لم تنفذ كلمات الله فدل بهذه الأشياء أن كلمات

٢- وصف الله بضد الكلام وهو الخرس والبكم والأفات أو يوصف بالجهل- تعالى الله عما يقولون- وهي من صفات الجمادات والأصنام:

قال الإمام ابن بطه -مصرحاً بأن هذا لازم ومألّ يؤول إليه كلام هؤلاء القائلين بخلق القرآن-: "ويلزم الجهمي في قوله: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم أن يكون قد شبه ربه بالأصنام المتخذة من النحاس والرصاص والحجارة فتدبروا -رحمكم الله -نفي الجهمي للكلام عن الله ، إنما أراد أن يجعل ربه كهذه ، فإن الله عز وجل عيّر قوماً عبدوا من دونه آلهة لا تتكلم :فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَنتُمُ لَكُمْ قَادَتْهُمْ فَلْيَسْتَخَيِّرُوا لَكُمْ﴾ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٤﴾ [الأعراف: ١٩٤]، فزعم الجهمي أن ربه كذا إذا دعي لا يجيب "أهـ (٧٥)

ونص على هذا الإلزام أبو الحسن الأشعري حيث قال: "واعلموا رحمكم الله أن قول الجهمية: إن كلام الله مخلوق ، يلزمهم به أن يكون الله تعالى لم يزل كالأصنام التي لا تنطق ولا تتكلم ، لو كان لم يزل غير متكلم ، لأن الله تعالى يخبر عن إبراهيم عبه السلام أنه قال لقومه لما قالوا له : ﴿قَالُوا أَأَتَتْكَ قُلُوبُ هَٰؤُلَاءِ بِآيَاتِنَا﴾ [١٢٣] قَالَ بَلْ نَعْمَ كَذِبُ هَٰؤُلَاءِ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ [الأنبياء: ١٢٣ - ١٢٤] ، فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة ، لم تكن آلهة ، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم "أهـ (٧٦)

وقال الدارمي: "وقال لقوم موسى حين

٢- الزعم بأنه كلام بشر كقول المشركين قال الإمام الدارمي: "وأي زندقة بأظهر ممن ينتحل الإسلام في ظاهره ، وفي الباطن يضاهي قوله في القرآن قول مشركي قريش الذين ردوا على الله ورسوله ، فقالوا ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا نَحْنُخْلُقُ﴾ (٧) [ص:٧] ، و﴿إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٥) [الأنعام: ٢٥] ، ﴿لَا أَشْهَدُ قُلُوبَنَا هُوَ﴾ [الشعر: ٢٥] ، كما قالت الجهمية سواء: إن هذا إلا مخلوق" أهـ. (٨١)

الماد الرابع : أن القول بخلق القرآن يعود

على كل الرسالة والشرعية التي من عند الله بالإبطال : يقول الإمام الهروي -رحمه الله "وأما الذين قالوا بإنكار الكلام لله عز وجل : فأرادوا إبطال الكل ، لأن الله تعالى إذا لم يكن -على زعمهم الكاذب- متكلما بطل الوحي ، وارتفع الأمر والنهي ، وذهبت الملة عن أن تكون سمية فلا يكون جبريل -عليه السلام -سمع ما بلغ ولا الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ ما أنفذ فيبطل التسليم والسمع والتقليد ويبقى المعقول الذي قاموا به "أهـ. (٨٢) والواقع يصدق هذه المقولة فكل من تأثر بمقولاتهم ترك دينه وعبادته لربه كما فعل الجهم وغيره من رؤوس أهل البدع وقد قال الإمام البيكندي شيخ البخاري : "وكلامهم يدعوا إلى الزندقة ، وكلامهم وصفناه لغير واحد من أهل الفقه والبصر فمالوا آخر أمرهم إلى الزندقة ، والرجل إذا رسخ في كلامهم ترك الصلاة واتباع الشهوات "أهـ. (٨٣) يقول الإمام السجزي في رده على قول الأشعري في كلام الله : "وأما رفع أحكام الشريعة ، فلأنها

اتخذوا العجل ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا رَجْعَ إِلَهُهِمْ قَوْلًا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩] ، وقال ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ أَلَّا يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يُهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا عَلَيْهِمْ كُفَرًا﴾ [الأعراف: ٤٨] ، ففي كل ما ذكرناه تحقيق كلام الله وتشبيته نصاً بلا تأويل ، فزيما عاب الله به العجل في عجزه عن القول والكلام بيان بين أن الله عز وجل غير عاجز عنه ، وأنه متكلم وقائل ، لأنه لم يكن يعيب العجل بشيء هو موجود به "أهـ. (٨٤)

ويقول الحافظ الكرجي القصاب -عند قوله تعالى (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) -: "أليس كان عجز آلهتهم عن الكلام نقصاً فيها ، وأحد علامات تحقق بطلان الإلهية عنها ؟ ، فأراهم لا يرون -ويجهم - إلا على أن يصفوهم صفة الموات ، ومن لا يقدر على نطق ولا حركة ، وهذا هو التعطيل بعينه نعوذ بالله منه "أهـ. (٨٥) وفي بعض المواضع يشير السلف إلى هذا المآل بلفظ مختصر ، بعيد عن الإسهاب والشرح ، وهذا يدل على رسوخ قدمهم في العلم بكتاب الله والاستنباط منه ، فقد قال هارون بن معروف : "من قال القرآن مخلوق فهو يعبد صنماً" (٨٦)

وقال الإمام البخاري "وقال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة : لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق ، وقالت الجهمية : وكذلك لا يتكلم ولا يبصر نفسه ، وقالوا : إن اسم الله مخلوق "أهـ. (٨٧)

قتل من يقدح في الأنبياء - عليهم السلام -
وقولهم يتضمّن أعظم القدح؛ لكن لم يعرفوا
ذلك، ولازم القول ليس بقول، فإنهم لو عرفوا
هذا يلزمهم ما التزموه..^(٨٦)

ولكن بطبيعة الحال ، الفرق قائم بين
المعتزلة والأشاعرة من جهة ، وبين من أعمل
مناهج النقد الغربي في نصوص الكتاب
من علمانيين وماركسيين كنص غير إلهي
مستفيدين من القول بخلق القرآن عند أولئك
من جهة أخرى ، لكونهم التزموا هذه اللوازم
الفاسدة وصرحوا بذلك في كلامهم ، بل
تبنّى القول بخلق القرآن ابتداء على النحو
الذي ساروا عليه في نقد نصوص الوحي ،
كان المدخل لهم في إبطال أحكام الشريعة ،
وإدعاء عدم صلاحيتها.

الماء الخامس: الاستهانة والاستخفاف بكلام الله

والباعث لهذا المآل الخطير هو أنهم
قرروا أن الذي بين أيدينا ليس هو كلام الله
الذي هو صفته بل مخلوق من مخلوقاته وهذا
الأمر اتفق فيه المعتزلة والأشاعرة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا
الأمر وسبب وقوعهم في هذه الأمور الخطيرة
المخرجة من الملة -وهو يعرض اعتقاد
الأشاعرة والكلابية في كلام الله - : " إنه
معنى قائم بذات الله فقط ، وأن الحروف
ليست من كلام الله ، بل خلقها الله في
الهواء ، أو صنّفها جبريل ، أو محمد ، فضموا
إلى ذلك أن المصحف ليس فيه إلا مداد وورق
، وأعرضوا عما قاله سلفهم من أن ذلك دليل

إنما تثبت بالقرآن فإذا كان الأشعري عنده
القرآن غير هذا النظم العربي ، وأهل الحل
والعقد لا يعرفون ما يقوله ارتفعت أحكام
الشريعة ولا خلاف بين المسلمين أن من جحد
سورة من القرآن أو آية منه أو حرفاً متفقاً
عليه فهو كافر "أ.هـ.^(٨٧)

يقول البغدادي بعد أن ساق اعتقاد بعض
طوائف المعتزلة في القول بخلق القرآن : " وإذا
لم يكن له كلام لم يكن له أمر ونهي وتكليف ،
وهذا يؤدي إلى رفع التكليف ، وإلى رفع أحكام
الشريعة "أ.هـ.^(٨٨)

وهذا المآل يصدق على كل من قال بأنه
مخلوق سواء المعتزلة القائلين بأنه لفظه
ومعناه مخلوق أو الأشاعرة القائلين بأن
ألفاظه دون معانيه مخلوقة .

ولكن هنا ننبه لأمر ، وهو أن لازم المذهب
كفر على كل حال ، لكونه مؤدي إلى مخالفة
قطعيات الكتاب والسنة ، لكن مع ذلك لا نطرد
الحكم على القائل ، لا على سبيل التعميم ولا
التعين ، لأن ليس كل لازم فاسد عن قول يتبناه
قائله ، لغفلة عن اللازم أو قصور في إدراك
تصوره لازماً أو نحوه من الأمور ، لذا يقول
شيخ الإسلام ابن تيمية في القائلين بمذهب
التفويض :

" ولا ريب أنهم لم يتصوّروا حقيقة
ما قالوه ولوازمه ، ولو تصوّروا ذلك لعلموا
أنه يلزمهم ما هو من أقبح أقوال الكفار في
الأنبياء ، وهم لا يرتضون مقالة من ينتقص
النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولو تنقّصه أحد
لاستحلّوا قتله ، وهم مصيبون في استحلال

، بل إن نشر هذا الاعتقاد يضعف التعظيم لكتاب الله في قلوب العوام ، يقول الإمام ابن الجوزي: "قدم إلى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم ، فارتقوا المنابر لتذكير العوام فكان معظم مجالسهم أنهم يقولون :ليس لله في الأرض كلام ، وهل المصحف إلا ورق ... إلى (أن قال) : ثم يقولون :أين الحروفية الذين يزعمون أن القرآن حرف وصوت؟ هذا عبارة جبريل ، فمازالوا كذلك حتى هان تعظيم القرآن في صدور كثير من العوام وصار أحدهم يسمع فيقول :هذا هو الصحيح ، وإلا فالقرآن شيء يجيء به جبريل في كيس" ^(٨٠) ، وأعظم من هذا ما ثبت عن الجهم زعيم الطائفة المخذولة بإهانتته للمصحف كما روى ذلك أئمة السنة " أن رجلاً من أهل مرو كان صديقاً لجهم ثم قطعه وجفاه ، فقيل له :لم جفوته؟ فقال: جاء منه ما لا يحتمل :قرأت يوماً آية كذا وكذا -نسيتها يحيى -فقال :ما كان أطرف محمد الفاحتلتها ، ثم قرأ سورة طه ، فلما قال ﴿إِنَّ هَذَا لَآسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ^(٨١) [الأنعام: ٢٥] قال: أما والله لو وجدت سبيلا إلى حكما لحككتها من المصاحف ، فاحتلتها ، ثم قرأ سورة القصص ، فلما انتهى إلى ذكر موسى قال :ما هذا ؟ذكر قصته في موضع فلم يتمها ، ثم ذكرها هنا فلم يتمها ، ثم رمى بالمصحف من حجره فوقه ، فوثبت عليه" ^(٨١) أهـ

ولهذا وجب التحذير من هذه البدعة عبر العصور وفي كل البلدان حتى يبقى لكتاب الله هيبتة في النفوس كما أراد الله ورسوله . ^(٨٢)

على كلام الله فيجب احترامه لما رأوا أن مجرد كونه دليلا لا يوجب الاحترام ، كالدليل على الخالق المتكلم بالكلام ، فإن الموجودات كلها أدلة عليه ، ولا يجب احترامها ، فصار هؤلاء يمتنون المصحف حتى يدوسوه بأرجلهم ، ومنهم من يكتب أسماء الله بالعدرة ، إسقاطا لحرمة ما كتب في المصاحف والورق من أسماء الله وآياته ، وقد اتفق المسلمون على أن من استخف بالمصحف ، مثل أن يلقيه في الحش أو يركضه برجله ، إهانة له ، أنه كافر بمباح الدم ، فالبدع تكون في أولها شبرا ثم تكثر في الأتباع حتى تصير ذراعاً وأميالاً وفراسخ ... "أهـ" ^(٨٧) ، ويقول الإمام ابن القيم : "ومن هنا استخف كثير من أتباعهم بالمصحف وجوزوا دوسه بالأرجل لأنه يزعمهم ليس فيه إلا الجلد والورق ... "أهـ" ^(٨٨) ، وهذا الذي أشار إليه شيخ الإسلام وابن القيم عن الأشاعرة وأهل الكلام واستخفافهم بكلام الله والمصحف وأن الذي آل بهم إلى هذا هو قولهم المبتدع في كلام الله بأنه مخلوق أكده ابن حزم حيث قال : " ولقد أخبرني علي بن حمزة المرادي الصقلي الصوفي أنه رأى بعض الأشعرية يبطح المصحف برجله ، قال فأكبرت ذلك وقلت له : ويحك هكذا تصنع بالمصحف وفيه كلام الله تعالى ؟ فقال لي :ويلك والله ما فيه إلا السخام والسواد ، وأما كلام الله فلا "أهـ" ^(٨٩)

والقصص التي وردت في الاستهانة بكتاب الله وعدم تعظيمه عن القائلين بخلق القرآن سواء من الجهمية أو الأشعرية كثيرة وهي شاهدة على أن هذا من أعظم المآلات

الماب السادس: نفى الإعجاز عن القرآن

وهذا يشمل من نفى الإعجاز عن لفظه ومعناه ، أو عن لفظه دون معناه ، وهو لازم لهم لأن القرآن لو كان من عند مخلوق أو هو كلام مخلوق لم يكن معجزاً ، وإنما يستقيم القرآن أن يكون معجزاً إذا قيل إنه كلام الله حقيقة وهو كلام إلهي غير مخلوق فالآيات الكثيرة تدل على أنه كلام إلهي غير مخلوق معجز بلفظه ومعناه ومن كل الوجوه كما يقرر ذلك شيخ الإسلام حيث يقول : "وكون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط ، أو نظمه وأسلوبه فقط ، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط ، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط ، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط ، بل هوآية بيّنة معجزة من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغة ، وفي دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي ، وعن الغيب المستقبل ، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية ، والأقيسة العقلية ، التي هي الأمثال المضروبة كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٨٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤] ... "أهـ" (٩٢) ، وقد أشار السلف إلى الاحتجاج على من نفى صفة الكلام وزعم أن القرآن مخلوق بآيات التحدي والتي تثبت

الإعجاز للقرآن وأنه كلام إلهي وليس بكلام بشر ، ومن ذلك الاحتجاج بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِيَمِينِ ظَهْرِي ﴾ [الإسراء: ٨٨] . قال الإمام الدارمي معلقاً على هذه الآية : "ففي هذا بيان أن القرآن خرج من الخالق لا من المخلوقين ، وأنه كلام الخالق لا كلام المخلوقين ، ولو كان كلام المخلوقين منهم لقدر المخلوق الآخر أن يأتي بمثله أو بأحسن منه "أهـ" (٩٤) ، وممن أورد هذا اللازم والمأل على مذهب الأشاعرة في القرآن : الإمام العمراني حيث قال : "وأما الدليل على أن هذا المتلو يسمى قرآناً فقوله تعالى ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [الإسراء: ٨٨] ، فالذي تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله وجعله معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنهم لا يأتون بمثله هو هذا القرآن والسور والآيات ، فأما ما في نفس الباري من الكلام فلا سبيل للعرب ، ولا لأحد من الخلق إلى سماعه ، ولا إلى معارضته .. "أهـ" (٩٥) ولهذا لجأ بعض أئمة المعتزلة (٩٦) إلى اختراع نظرية وبدعة جديدة ، وهي ما تسمى بـ "الصرفة" أي : أن الله صرف كفار قريش والعرب عن تحدي القرآن وإلا فإنه يمكنهم الإتيان بمثله لأنه يعتقد أنه مخلوق (٩٧) . كل هذا حتى لا يتناقض مع قولهم بخلق القرآن ، بوعد العلماء من أضعف الأقوال (٩٨) لكثرة ما يرد عليه ، ولا تعجب فسوف يأتي الحديث عن أثر القول بخلق القرآن على بعض المعاصرين (٩٩) ، وكيف تبناوا هذا الرأي وهو الصرفة رغم ضعفه وتناقضه ومعارضته لصريح أي القرآن .

البشر ، ويقدرهم الله عليه ، ولكن لم يكن هذا ولا يكون ، فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه ، وقال به جماعة من أصحابه "أهـ" ^(١٠٤) ، وقال الشهاب الخفاجي : "نقل عن الأشعري إلا أنه لم يشترعه" أهـ ^(١٠٥)

والأشاعرة وقعوا في التناقض الشديد فهم يتكلمون عن الإعجاز وأنه يشمل بديع نظمه وعجيب تأليفه ، ومع هذا تجد التناقض ؛ بأن الذي بين أيدينا غير معجز ، ومن أشهر من تكلم في إعجاز القرآن من الأشاعرة الإمام الباقلاني ومع هذا يقول بعد أن ساق أوجه

الإعجاز المختلفة : "فإن قيل : فهل تزعمون أنه معجز : لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه ، أو لأنه عبارة عنه ، أو لأنه قديم في نفسه ؟ ، قيل : لسنا نقول بأن الحروف قديمة ، فكيف يصح التركيب على الفاسد ، ولا نقول أيضاً إن وجه الإعجاز في نظم القرآن أنه حكاية عن الكلام القديم ، لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل معجزات في النظم والتأليف ، وقد بينا إعجازها في غير ذلك ، وكذلك كان يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومتفردها وقد ثبت خلاف ذلك" أهـ ^(١٠٦)

ويقول شيخ الإسلام -مخالفاً رأي الباقلاني- : "وما في التوراة والإنجيل ، لو قدر أنه مثل القرآن ، لا يقدح في المقصود فإن تلك كتب الله -أيضاً- ولا يمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي ، كما أتى المسيح بإحياء الموتى ، وقد وقع إحياء الموتى على يد غيره ، فكيف وليس ما في التوراة والإنجيل مماثلاً لمعاني القرآن لا في الحقيقة ولا في الكيفية ولا في الكمية ، بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب" أهـ ^(١٠٧)

بل وصل الحال ببعضهم أن قال : "إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة ، وبما هو أفصح منه" ^(١٠٠) ، وكان من مآل القول بخلق القرآن والصرفة هو عدم العناية ببلاغة القرآن وإعجازه لاعتقادهم بأنه مخلوق ، يقول الأديب الرافعي : "على أن القول بالصرفة هو المذهب الفاشي من لدن من قال به النظام ، يصوبه فيه قوم ، ويشايعه عليه آخرون ، ولولا احتياج هذا البليغ لصحته ، وقيامه عليه ، وتقلده أمره ، لكان لنا اليوم كتب ممتعة في بلاغة القرآن وأسلوبه وإعجازه اللغوي وما إلى ذلك ، ولكن القوم -عفا الله عنهم- أخرجوا أنفسهم من هذا كله ، وكفوها مؤنته بكلمة واحدة تعلقوا عليها ، فكانوا فيها جميعاً كقول هذا الشاعر الطريف الذي يقول :

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء أهـ ^(١٠١)

والأمر لم يقتصر على المعتزلة بل تعدى ذلك إلى الأشاعرة حيث يقول أئمتهم بأن القرآن الذي بين أيدينا ليس معجزة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بل ينقلون إجماعهم على ذلك واتفاقهم مع المعتزلة ، يقول الأمدي : "وأما ما قيل من أن القرآن معجزة الرسول فيمتنع أن يكون قديماً ، فتحويل لا حاصل له ، فإننا مجمعون على أن القرآن ليس بمعجزة الرسول" أهـ ^(١٠٢)

بل إن جمعاً من أئمة الأشاعرة ومتكلميهم يكاد أن يكون كلامهم متطابقاً مع من قال بالصرفة من أئمة الاعتزال ^(١٠٣)

بل نقل هذا القول عن أبي الحسن الأشعري ، قال القاضي عياض : "وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور

الصرفة

المراد بالصرفة أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن ، وكانت في مقدورهم ، لكن عاقبهم عنها أمر خارجي ، فصار معجزة كسائر المعجزات ، ولو لم يصرفهم عن ذلك ، لجأوا بمثلها .

مصدر القول بالصرفة :

ذكر كل من البيروني ، والبغدادى ، والشهرستاني أن هذه الفكرة وجدت للساحة الفكرية الإسلامية ، عندما ترجمت الفلسفات الهندية في عهد أبي جعفر المتصور ومن جاء بعده من حكام بني العباس ، وأن بعض المتفلسفين من علماء الكلام ، وقتوا على أقوال البراهمة في كتابهم النيدا ، وهو يشتغل على مجموعة من الأشعار ، ليس في كلام التناس ما يماثلها - في زعمهم - بل يقول خاصتهم : إن البشر يعجزون عن أن يأثروا بمثلها ، لأن برامها صرفهم عن أن يأثروا بمثلها ، كما ذكره أبو الريحان البيروني (٤٢٠هـ) في كتابه (ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) .

والنظام : إبراهيم بن سيار بن هاشم النظام البصري (٢٢١هـ) هو أول من جاهر به ، وأصله ودعا إليه ، ولاحى عنه ، كأنه مسألة من مسائل علم الكلام ، تتلذذ على خاله أبي الهذيل العلاف في الاعتزال ، ثم اتسرد عنه ، وكون مذهبا خاصا به ، مات في ريمان شبابه عن ست وثلاثين عاما ، وكان أستاذا للجاحظ ، ترجم له أبو منصور عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٤هـ) - في كتابه : (الترقي بين الفرق) ، عند ذكره الفرقة النظامية ، فقال : (عاش النظام في شبابه قوما من الثوية وقوما من السنية ، وخالف قوما من ملاحدة الفلاسفة ، ثم دىون مذاهب الثوية ، وبدع الفلاسفة ، وتبني الملاحدة في دين الإسلام ، وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات ، ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفا من السيف ، فأكثر إعجاز القرآن في نظمه) ص (١٢٨-١٥٠) .

وقد تابع النظام على رأيه هذا نفر من المعتزلة ، منهم عيسى بن صبح المكنى بأبي موسى المردار ، وعبد بن سليمان ، وهشام الفوطي ، وأسيق النصيبى وغيرهم . ولهذه الآراء الشاذة ، والمعتقدات الباطلة نص كثير من العلماء ، ومن المعتزلة أنفسهم ، على تكفير النظام ، وفرقته .

ثم تسرب القول بالصرفة لمدرسة الأشاعرة كما هو الحال في معظم عقائد المعتزلة عند متأخرة الأشاعرة

مع بعض التحوير .. فالجويني الذي منعه في الإرشاد (ص ٢٤٩) عاد وسفه من قال بغيره في "التقيدة النظامية" يقول : (من رام أن يثبت إعجاز القرآن بأنه في جزالته خارق للعادات ، مجاوز لنصاحة اللدد البقاء ، واللحن النصحاء ، فقد حاد من مدرك الحق) ويقول : (فتبين قطعا أن الخلق ممنوعون عن مثل ما هو من مقدورهم ، وذلك أبغ عندنا من خرق الموائد بالأفعال البديعة في أنفسها) (ص ٧٢-٧٣)

والرازي وإن كان في "تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" رد على النظام في نظرية الصرفة لكنه عاد وتبنّاها في تفسيره في أية التحدي بعد أن ذكر نوعي الإعجاز قال في الأعجاز بالصرف : "وهذا الطريق عندنا أقرب إلى الصواب" وتبعه في هذا من أتم تفسيره عند كلامه في سورة الكوثر ..

وابن حزم الظاهري ثبني القول بالصرفة في الفصل (ص ١٩-٢٨) مع جراحة في العرض و فجاجة في البرهان احتشم عنها غيره ..

ثم إن كثيرا ممن كتب بعدهم في التفسير وأصول الدين اعتمد الصرفة وجها في الإعجاز ولكنه لم يقتصر الإعجاز عليه ، ولم ينكر وجه الإعجاز البلاغي في القرآن ، بل اعتبرهما معا ... والعجب أنه قول تيناه ابن تيمية في "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" (٢٨١/٦) ولعله سبق قلم .

بقي أن نقول أن أساطين الاعتزال ومن خبر غود مسألة الصرفة لبحثتها وسدّها ، ردّها لا يكون إلى القول بتقرد القرآن في البلاغة والبيان لكون هذا يجا في القول يخلق القرآن ، وإثما لتصادم خفي يهد أصل الاعتزال في قضية حرية الاختيار وثمي التقدر وخلق العبد أفعاله ، فتدبره فإنه لطيف .. فلذلك لا تعجب إذا علمت أن فن إعجاز القرآن ولد في رحم مدرسة الاعتزال وترعرع في رواقها مع حماس وشطاط مفرط في التأليف .. وهذا يعزز التناقض في مذهب الاعتزال ، وتغييبية الفكر الاعتزالي في رعاية الأصول عند تحرير المسائل أو على الأقل الحيدة الواعية التي تستر عوار التناقض .

معظم القول مستفادة من كتاب : (الصرفة : دلالتها لدى الثائين بها وروود المعارضين لها) د. سامي عملا حسن . كتاب الإلكتروني

مآلات القول بخلق القرآن في الفكر المعاصر

فصل :

٢

تمهيد :

ظهر أثر القول بخلق القرآن جلياً في كتابات بعض المفكرين والأدباء والفلاسفة المعاصرين ، وخاصة الذين يدعون إلى العلمانية ونبذ الدين ، وكان هذا الرأي الفاسد بغيتهم التي مهدت لهم في طروحاتهم في نقد القرآن والطعن فيه ، واستفادوا من طعونات المستشرقين^(١٠٨) ومن انحرافات الفائلين بخلق القرآن سواء المعتزلة أو الأشاعرة الفائلين بالكلام النفسي.

ولكن قبل أن نبدأ في سرد مآلات القول بخلق القرآن الخطيرة على أصل الإسلام ومصدر التشريع وهو القرآن الكريم لابد أن ننبه إلى أمور عدة :

١- أن الطوائف المنحرفة القديمة كالمتزلة والأشاعرة ومن وافقهم في رأيهم في القرآن الكريم كانوا معظمين للشريعة وللدين وللقرآن ، ولم يكونوا يبجحون بهذا الكفر الصراح ، بالزندقة المشكوفة ؛ التي تبين مدى حقد وعداء بعض المتأخرين على الإسلام وأصوله الكبرى.

٢- أن هؤلاء المنحرفين من المفكرين أناس غير موضوعيين ولا يريدون الوصول إلى الحقيقة؛ فهم ينتقون من تراث الأمة ما يوافق أهواءهم وضلالاتهم ، وما يكون سبباً في القدح والتشكيك في الدين الإسلامي

ومصادر تشريعاته ، فلا نراهم يمجدون إلا هذه الطوائف الغالية في البدع والتي تناقض أصل الإسلام ولا تمثل الإسلام الصحيح الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكان عليه صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.^(١٠٩)

٣- أن هؤلاء المتأخرين لا يناقشون القضايا التي يتبنونها ، أو ينظرون في أدلة المعارضين؛ بل ينقولونها ويشيدون بها دون ذكر الأدلة على ذلك ، أو ذكر اعتراضات علماء أهل السنة عليها حتى يردوا عليها؛ بل ولا حتى الاستدلالات العقلية التي تبرر تبنيهم لهذه الآراء ، ولكن إتباع الهوى والعداء لهذا الدين أعمى أبصارهم فلا يشعرون بضعف كتاباتهم وتهافتها.

٤- أن هدف هؤلاء من تبنيهم الآراء والاعتقادات المنحرفة لدى بعض الطوائف المنتسبة للإسلام هو ترسيخ ما يسعون إليه من نشر العلمانية كفكر وثقافة حتى يتقبلها المجتمع بغطاء إسلامي كما يزعمون ، وفي هذا الصدد يقول **نصر أبو زيد** : "وليس العلمانية في جوهرها سوى التأويل الحقيقي والفهم العلمي للدين ، وليس ما يروج له المبطلون من أنها الإلحاد الذي يفصل الدين عن المجتمع والحياة" أه^(١١٠).

٥- صرح هؤلاء في أكثر من موضع من

نصر حامد أبو زيد

- القرآن مشعق فحاشا في ومستمد من البيئة العربية.

- إسقاط سلطة النص وأي سلطة أخرى.

- إنكار صلاحية القرآن لكل زمان ومكان.

- عد الإسلام ديناً عربياً ونفى العالمية والشمولية.

- الدعوة إلى التحرر من العبودية لله.

- نفى أن يكون القرآن في علم الله الأزلي.

ومما حكاته تلك تتقاطع مع مقولات (ماركس) الذي

يذهب إلى أن الديانات والفلسفات مجرد (أيديولوجيا)

تعكس أفكاراً زائفة للطبقات الحاكمة.

وسأكتفي بثلاثة نقول للدلالة على ما سبق :

الأول قوله: (إن القرآن منذ أن نزل على محمد أصبح

وجوداً بشرياً منفصلاً عن الوجود (الإلهي) والثاني قوله:

(لم ينج القرآن من عمليات المحو والإثبات) الثالث قوله:

(إن التصورات الأسطورية المرتبطة بوجود أزلي قديم

للتص القرآن في اللوح المحفوظ باللغة العربية ما زالت

تصورات حية في ثقافتنا).

هلك عام يوليو ٢٠١٠ م بمرض لم يعرف كنهه

انظر: قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة

القاهرة للدكتور عبد الصبور شاهين ص ٩٠-٩١.

كاتب ماركسي مصري، وأستاذ علوم اللغة في الجامعات المصرية، وقد رفضت تربيته إلى درجة أستاذ بجامعة القاهرة لعدم استحقاقه لها بعدما أحبط قضية تربيته إلى لجنة الشؤون الدينية في الحزب الوطني الحاكم برئاسة الدكتور عبد الصبور شاهين، وقد اشتهر كتابته بالانحلال والاستخفاف بالمقدسات الإسلامية، حتى تجرأ على القرآن الكريم في كتابه " مفهوم النص - دراسة علوم القرآن "، كما روج لكل ما يعادي الإسلام في بقية كتبه، وتناصرة كافة أعداء الإسلام في مصر من ملحدين وشيوعيين وإباحيين، ومنحه الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي وساماً رفيعاً، ولقد أصدرت مجلة "أدب وثقافة" الماركسية الشيوعية ملفاً دفاعياً عنه وتضامناً معه وذلك في مايو عام ١٩٩٢م، وقد حكمت عليه محكمة الاستئناف المصرية بالكفر والردة، لأرائه في القرآن وقضت بالتفريق بينه وبين زوجته فترك مصر، وهاجر إلى مولندا، وبعد من أبرز الداعين لإعادة تحديد مفهوم وظيفة القرآن الكريم، وكل اطلاقاته في كتبه توجي بالارتجالية والاعتباط، وإن كان ثمة إمكانات معرفية أو مهارات ذاتية فإنه وظفها للتضليل ونسف الثوابت والمسلمات، والعلماء الذين تعقبوا آراءه توصلوا إلى نتائج في غاية الخطورة تلخصها فيما يلي:

ببشرية النصوص الدينية ، فإن هذا الشيء لا يقوم على أساس أيديولوجي يواجه الفكر الديني السائد والمسيطر ، بل يقوم على أساس موضوعي يستند إلى حقائق التاريخ وإلى حقائق النصوص ذاتها ، وفي مثل هذا الطرح يكون الاستناد إلى الموقف الاعتزالي التراثي وما يطرحه من حدوث النص وخلقه ، ليس استناداً تأسيسياً بمعنى أن الموقف الاعتزالي - رغم أهميته التاريخية - يظل موقفاً تراثياً لا يؤسس وحده وعينا العلمي

كتاباتهم التي سطرورها ويكل جراً بأنهم استفادوا وبنوا نظرياتهم في القدر في القرآن والشريعة على رأي المعتزلة في القرآن وأنه مخلوق وليس كلام الله حقيقة ، منهم من كان صريحاً وأشاد بالقول بخلق القرآن وبالمعتزلة ، ومنهم من كان غير صريح لكنه يشن هجوماً على اعتقاد السلف ولما يأتي مذهب المعتزلة والمذاهب الباطنية المنحرفة يعرضها على أنها من التراث دون استنكار لما تحويه من باطل^(١١١) . وممن كان صريحاً د. نصر أبو زيد حيث قال : " وإذا كنا هنا نتبنى القول

من أجل (مفكر فيه) متجدد باستمرار ، كان قد أغلق واختزل إلى ما ندعوه بـ (المستحيل التفكير فيه) . وهذا ما حصل بالضبط مع المناقشة التي فتحها مفكرو المعتزلة "أ.هـ"^(١١٤) ، فأركون يصرح بأن الذي فتح لهم الطريق ومهد لهم هو رأي المعتزلة في القرآن؛ حتى يقدحوا في القرآن بعد نزع القداسة عنه.

بل يرى أركون إن المسلمين لن يخرجوا من تخلفهم ولن يتقدموا إلا إذا تبنا آراء المعتزلة.^(١١٥) بل إن رؤوس المنظرين للحداثة كأدونيس وغيره نراهم يمجدون المعتزلة وخاصة قولهم بخلق القرآن.^(١١٦)

٦- أن التيار العلماني استفاد من عقيدة الأشاعرة والمعتزلة في القرآن ، أما المعتزلة فقد تقدم ما يكفي أما الأشاعرة الذين يقررون أن المعنى من الله واللفظ من محمد أو جبريل ، فقد بنى عليه العلمانيون كثيراً من زندقته وطعنهم في الوحي ، وهو أمر أخذوه وتابعوا فيه المستشرقين^(١١٧)

المآلات الأولى

القول بوجوب نقد القرآن وأنه كغيره من النصوص

إن من يتأمل كتاباتهم ليتعجب كيف ينتسبون للإسلام أو يمكن أن يعدوا مؤمنين بهذه الشريعة وبهذا القرآن ، فكتاباتهم واضحة وصريحة في القدح في القرآن وأنه ليس كلام رب العالمين .

بطبيعة النصوص، الموقف الاعتزالي شاهد تاريخي دال على بواكير وإرهاصات ذات مغزى تقدمي علمي، والمغزى لا الشاهد التاريخي هو الذي يهمنا لتأسيس الوعي بطبيعة النصوص الدينية "أ.هـ"^(١١٢)، فنقصر أبو زيد من خلال هذا النص وغيره من النصوص التي يكررها يؤكد ما يلي :

١- بشرية النصوص .

٢- يستند في طروحاته هو وغيره من العلمانيين على رأي المعتزلة القائل بخلق القرآن .

٣- أنهم لم يقفوا عند هذه البدعة وإنما استفادوا منها ليمروا زندقته المكشوفة وإلا فرأيهم وحده لا يشفي عليهم ولا يروي غليلهم .

ونرى أن أركون كان أكثر صراحة في تبني رأي المعتزلة والقدح في السلف الصالح وموقفهم من القرآن الكريم فيقول مبيناً السبب بكل وضوح : " من أجل أن نفتح ثغرة في الجدار المسدود للتاريخ...نعني بكل بساطة أن القرآن بحاجة إلى وساطة بشرية ، أن نقول بأن القرآن مخلوق فهذا يعني أنه متجسد في لغة بشرية هي هنا اللغة العربية "أ.هـ"^(١١٣) ، ويضم أركون قول أهل السنة بالقول المتشدد وهو القول بأن القرآن كلام الله وصفة من صفاته وأنه غير مخلوق فيقول : " إن الموقف الأصولي المتشدد في الأديان يحيلنا إلى ذلك الخيار الفلسفي المتعلق بمنشأ المعنى من خلال التفاعل بين اللغة والفكر . فالفضاء الواسع والغني الذي فتح من قبل كلام الله الوحي

محمد أركون

بتوسعات أخرى في المستقبل " (الفكر الأصولي : ٢٥)

درس أركون في السربون منذ ١٩٦١م ، ويقول عن نفسه أنه متخرط في نقد العقل الإسلامي منذ أكثر من عشرين عاماً (أين هو الفكر الإسلامي ص ٥٩) ولكن لم يفلح حتى موته حتى في عملية التشكيك ، ولم نشاهد منه على كثرة كتبه وثروته تركيب يتم عن ملامح دينه الجديد ولو في مسألة واحدة ، ففكره يمثل أبشع صور العدمية لنشئته وتحركه فكرة موت الآله في كتبه

يقول : " كيف يمكن لنا أن نفكر عن طريق معاول النقد العلمي هذا الإسلام - الملائد ، هذا الإسلام الملجأ والوسيلة في الوقت الذي يشكل الأمل الوحيد بالنسبة لملايين البشر من رجال ونساء ؟ أقول ذلك وبخاصة أننا لا نستطيع أن نقدم عنه دليلاً ذا مصداقية ؟ هذه حيرتنا ، وهذه هي بليلتنا الآن " (الإسلام : أوروبا ، الغرب : ٨٦) ،

ولغرض عجزه يعلن عن إفلاسه الفكري بكل صراحة ويتنازل عن مشروعه في جانب التركيب على الأقل ، ويترك ذلك لمخيل الأجيال القادمة تقوم به يقول : " فلا يظن أحد مني البديل مسبقاً ، فالبديل ليس جاهزاً ، البديل يتولد من خلال العمل ، من خلال الصراع ، من خلال التفاعل مع ما هو موجود ... سوف تكتبه ختما الأجيال المقبلة " (قضايا في نقد العقل الديني : ٢٩٢) .

وهنا ينشأ سؤال ساذج وهو ما هو النموذج الفكري الذي أقامه أركون معياراً جعله يرقى نفسه في مصادمة بناء الإسلام مقررًا خطأ واختلاله ابتداءً ؟ بمعنى هل هو منطلق من نموذج معياري واضح على الأقل في ذهنه في استدعاء الدين يحاكم الإسلام إليه ، أم أنها ثرثرة عن غير قانون ؟

بعبارة أخرى : هل العمل الذي يريد أركون أن تقوم به الأجيال المقبلة في صياغة البديل يمكن أن يقوم على غير نهج وبرنامج فكري معين ؟ بمعنى إذا قلت لشخص عليك بالحنق من غير أن يكون له نموذج ذهني لما تنفيه كلمة حنق فتصور عن شكله وعمله ؟ هل يتبادر لذمته شيء ؟ فضلاً على أن يبادر إلى العمل الذي يوجه أو يوجه إليه الطلب ... وإذا قلنا إن ذلك ممكناً في عالم المستطعة فكيف تصارع الأجيال المقبلة أو يسوغ لها أركون حتى دخول الحليلة للمصارعة وهي لا تفهم أصلاً القانون الذي يحكم الحليلة علاوة على تنبئ قانون الوحي بالذات ، من أنا ؟ ماذا أريد ؟

هلك الرجل في سبتمبر ٢٠١٠م ولكن ما يزال فكره موجوداً ، وأفكاره رواح عند كثير من العقول المقترعة عن دينها ،

شخصية ذات شهرة واسعة في الوسط العلماني المعاصر ، ويمثل أوضح صورة لتعيب الهوية واستعداد الذات عن التأثر الكبير بالفلسفة الغربية في موقفه من الإسلام ، حيث أخذ حصيلة الفكر الغربي المعادي للأديان ، ثم أنزله على الإسلام ، فهو يلخص مشروعه فيقول : " المهمة العاجلة تتمثل في ما يلي : إعادة قراءة التراث الإسلامي على ضوء أحدث أكتافج اللغوية ، والتاريخية ، والسوسيولوجية ، والأنثروبولوجية أي المقارنة مع التراثات الدينية ، وبخاصة ما حصل في الغرب المسيحي ، ثم القيام بعدئذ بتقييم فلسفي شامل لهذا التراث لطرح ما أصبح ميتاً فيه ومعرفة لا حركة التطور ، والإبقاء على العناصر الصالحة من أجل استخدامها في البنيان الجديد " (قضايا : ٢٩٢)

وأول مبدأ يعلن أنه يهدف من نسفته (زحزحة الوحي) إلى أرضية التحليل الانساني ، وهو يعني به " أنزال الكتاب من مكانته المقدسة التعاليم إلى صورة تجعله مثل أي كتاب أرضي ، والوصول به إلى مقاربة أنثروبولوجية ، بعيداً عن النظرة الدينية "

كما يقول أركون : " ما أريده فعلاً ، هو أن أثير في داخل الفكر الإسلامي تساؤلات مألوفة ، فيما يخص الفكر المسيحي منذ وقت طويل ، بعملنا هذا فإننا نخضع القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن ، وللتحليل الأنتي التشكيكي ، وللتأمل الفلسفي .. " (تاريخية الفكر العربي الإسلامي : ٥٦) .

فهي معالجة تتعامل مع تصوص الوحي على أن الأديان صناعة أرضية من إنتاج البشر ، كما صرح بها أركون (الإسلام أصالة وممارسة : ١٩) ، لذا هو يستبدل مصطلح الوحي بلفظ " التخيل الديني " أو " المخيال الديني " ، وهو معنى لغوي لفظ الخيال ويعني به المكان المشترك للخيال في العقل الجماعي ، وهو هنا لا يعني به فقط الأديان الوضعية كما يمكن أن توهم العبارة ، بل يشمل الديانات السماوية يقول " لا ينبغي علينا هنا أن نفرق بين الأديان الوثنية وأديان الوحي ، فهذا التفريق أو التمييز هو عبارة عن مقولة تيولوجية تعسفية .. " (العلمنة والدين : ٢٢) .

ويقول : " القرآن ليس إلا نصاً من جملة نصوص أخرى تحتوي على نفس مستوى التعقيد والمعاني الفؤارة الغزيرة ، كالتوراة والأنجيل ، والتصوص المؤسسة لليوزية أو الهندوسية ، وكل نص تأسيسي من هذه النصوص الكبرى حظي بتوسعات تاريخية معينة وقد يحظى

من قدر القرآن الكريم ومصادر التشريعة ، ومن هؤلاء المفكر المغربي د. محمد عابد الجابري حيث يقول : " لا الوضعية الثقافية والبنية الفكرية العامة المهنية ، ولا درجة النضوج لدى المثقفين أنفسهم يسمح بهذا النوع من الممارسة الفولتيرية للنقد اللاهوتي ، ولا السياسة تسمح ، وبطبيعة الحال فالإنسان يجب أن يعيش داخل واقعه لا خارجه حتى يستطيع تغييره " ، ثم يفصح الجابري عن خطته المغايرة لأركون وأبو زيد فيقول : " هناك من يرى أن من الواجب مهاجمة اللاعقلانية ^(١٢٠) في عصر دارها وهذا خطأ في رأيي ، لأن مهاجمة الفكر اللاعقلاني في مسلماته في فروضه في عصر داره يسفر في غالب الأحيان عن إيقاظ ، تنبيه ، رد فعل ، وبالتالي تعميم الحوار بين العقل واللاعقل ، والسيادة في النهاية ستكون خاضعة حتماً للاعقل : لأن الأرضية أرضيته والميدان ميدانه ، والمسألة مسألة تخطيط " ^(١٢١) ، فالمسألة كيد ومكر وتخطيط لتجاوز المسلمات والأصول التي تبنى عليها عقيدة المسلمين فالهدف واحد والطرق مختلفة والله المستعان .

ثم يستمر مبينا خطة الهجوم على أصول الإسلام الكبرى كالقرآن والسنة فيقترح أن يستفاد من انحرافات الطوائف التي خالفت أهل الإسلام كطوائف المتكلمين والفلاسفة فيقول : " يجب علينا أن ننقد مفاهيمنا الموروثة - يمكن أن نمارس النقد اللاهوتي

يقول محمد أركون : " نحن نريد القرآن المتوسل إليه من كل جهة والمقروء والمشروح من قبل الفاعلين الاجتماعيين (المسلمين مهما يكن مستواهم الثقافي وكفاءتهم العقائدية ، أن يصبح موضوعاً للتساؤلات النقدية المتعلقة بمكانته اللغوية ، التاريخية... ، ونطمح من جراء ذلك إلى إحداث نهضة ثقافية عقلية ، وحتى إلى ثورة تصاحب الخطابات النضالية العديدة من أجل أن تفسر منشأها ووظائفها ودلالاتها ومن ثم من أجل السيطرة عليها " أ.هـ. ^(١١٨) ، ويزيد الأمر وضوحاً فيقول : " إن مجموع هذه النصوص يتطلب معاملة مزدوجة : ف أولاً ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحدف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس ، وثانياً : ينبغي القيام بتحليل التبيين كيف أن القرآن بنجز أو يبلور (بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يشتمل على أساطير قديمة متبعثرة) شكلاً ومعنى جديداً " أ.هـ. ^(١١٩)

وهؤلاء كانوا على مستوى من الصراحة والوقاحة في نقد كتاب الله جل وعلا ، ولكن بعضهم يصرح بموافقهم إلا أنه يرى أن الوقت غير مناسب ولكن له وجهة نظر أخرى أن يكون النقد من داخل التراث ، وهو يعني إحياء الانحرافات القديمة للطوائف المنتسبة للإسلام ونسبتها إليهم حتى يخرج من التبعة ويحقق ما يريد من التشكيك والحد

ويقول أيضاً: "لم يكن القرآن في صياغته للواقع الثقافى بمعزل عن هذه التصورات فقد ذكر الجن في مواضع كثيرة وخصص سورة كاملة تنبئ عن تحول في طبيعة الجن وإيمانهم بالإسلام والقرآن بعد أن استمعوا له . والسورة من ناحية أخرى تؤكد ما كان مستقرا في العقل العربي من اتصال الجن بالسماء ومن إمكانية اتصال بعض البشر بالجن" (١٢٤). فهذا الكلام فيه تصريح ببشرية القرآن وأنه يمكن أن يكون تلقاه من الجن ونحوهم ولا شك أنهم مهدوا لمثل هذه الزندقة بنزع القداسة والصفة الإلهية عن القرآن ومن ثم بنوا عليها مثل هذه الآراء. وهذا التقرير الذي يقررونه هو تكرار باللفظ والمعنى لما يردده المستشرقون الذين يشكون في الوحي .

ويكون نصر أبو زيد أكثر صراحة حيث يقول: "إن القول بإلهية النصوص والإصرار على طبيعتها الإلهية تلك يستلزم أن البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها مالم تتدخل العناية الإلهية ، بوهب بعض البشر طاقات خاصة تمكنهم من الفهم وهكذا تتحول النصوص الدينية إلى نصوص مستغلقة على فهم الإنسان - العادي - مقصد الوحي وغايته وتصبح شفرة إلهية لا تحلها إلا قوة إلهية خاصة وهكذا يبدو الله وكأنه يكلم نفسه ويناجي ذاته وتنفى عن النصوص الدينية صفات الرسالة، البلاغ، الهداية" (١٢٦)، ويقول أيضاً "الواقع إذن هو الأصل ولا سبيل إلى إهداره ، ومن الواقع تكوّن النص ، ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه ، ومن خلال حركته

من خلال القدماء - يعني نستطيع بشكل أو بآخر استغلال الحوار الذي دار في تاريخنا الثقافى ما بين المتكلمين بعضهم مع بعض ونوظف هذا الحوار ، لنا حرمان يجب أن نحترمها حتى تتطور الأمور ، المسألة مسألة تطور" أهـ (١٢٧) . فالمسألة عند الجابري مسألة وقت وتتطور وإلا فإن الحرمان هذه التي يتحدث عنها لا قيمة لها عنده ، وإلا لو كانت لها قيمة لما تغيرت الحرمان مع تقدم الوقت ومع التطور كما يزعم .

المآل الثاني

أن البيئة هي التي أشرت في خطاب القرآن وهذا فيه إشارة إلى أنه ليس بوحي من عند الله :

يقول نصر أبو زيد : "لقد كان ارتباط ظاهرتي " الشعر والكتابة " بالجن في العقل العربي ، وما ارتبط بهما من اعتقاد العربي بإمكانية الاتصال بين البشر والجن هو الأساس الثقافى لظاهرة الوحي الديني ذاتها . ولو تصورنا خلو الثقافة العربية قبل الإسلام من هذه التصورات لكان استيعاب ظاهرة الوحي أمراً مستحيلاً من الواجهة الثقافية ، فكيف كان يمكن للعربي أن يتقبل فكرة نزول ملك من السماء على بشر مثله ما لم يكن لهذا التصور جذور في تكوينه العقلي والفكري . وهذا كله يؤكد أن ظاهرة الوحي القرآن لم تكن ظاهرة مفارقة للواقع أو تمثل وثباً عليه وتجاوزاً لقوانينه ، بل كانت جزءاً من مفاهيم الثقافة ونابعة من مواضعها وتصوراتها " أهـ (١٢٧)

بحدوثة ، كان من شأنه أن يؤدي إلى الفصل والتمييز بين الكلام الإلهي والكلام البشري ، لكن تصورهم للكلام ذاته جعل التمييز بين الكلامين من جهة المتكلمين لا من جهة الكلام ذاته ، ولذلك كان من الضروري أن تنتقل قضية الإعجاز من مجال العدل - مجال الأفعال - إلى مجال التوحيد ، ومفارقة الصفات الإلهية لصفات البشر من كل جانب . وإذا كانت قدرة الله تعالى لا تغالبها قدرة البشر ولا تستطيع الوقوف إزاءها ، فإن " العجز " الذي يشير إليه النص في تحديه للعرب أن يأتوا بمثله كان عجزاً ناتجاً عن تدخل القدرة الإلهية لمنع العرب من قبول التحدي ومن محاولته . وليس في هذا الرأي إنكار للإعجاز ، بل هو تفسير له خارج إطار علاقة النص بغيره من النصوص الأخرى . إنه " العجز " البشري الذي سببته قدرة الله وليس " الإعجاز " أو التفوق القائم في بنية النص من حيث مقارنته بالنصوص الأخرى " أ.هـ. ^(١٢٨) ، ومن هنا يتبين لنا لماذا حرص أبو زيد على تبني كلام النظام ليقرر بأنه لا فرق بين النص القرآني وبين أي نص ، وأن الله هو الذي تدخل لمنع العرب أن يأتوا بمثله؛ فتكون النتيجة أنه يجوز لنا أن نتدخل لنقد القرآن لإمكان الناس أن يأتوا بمثله ، وأنه ليس هنا تفوق للنص القرآني على غيره من النصوص لكونه نصاً بشرياً لا إلهياً .

ويقول أيضاً: " لقد حاول المعتزلة جاهدين ربط النص بالفهم الإنساني وتقريب الوحي من قدرة الإنسان على الشرح والتحليل . ويبدو أن فكرة " الإعجاز " بما تتضمنه من

بفاعلية البشر تتجدد دلالاته ، فالواقع أولاً ، والواقع ثانياً ، والواقع أخيراً " أ.هـ. ^(١٢٩) ويقول كلاماً خطيراً مصرحاً ببشرية القرآن: " ففي مرحلة تشكيل النص في الثقافة تكون الثقافة فاعلاً والنص منفعلاً " أ.هـ. ^(١٣٠) ، ففي هذا النقل يتبين أن النص القرآني يزعمهم نتاج الثقافة التي عاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى أنه من عنده وليس من عند الله فالثقافة هي الفاعلة وهي المنتجة للنص والنص منفعل مخلوق محدث ومن نتاج هذه الثقافة .

المآل الثالث

نفي الإعجاز عن القرآن الكريم

وهذه نتيجة طبيعية لتبنيهم القول ببشرية القرآن وأنه ليس وحياً إلهياً من عند الله ، وبعضهم حاول أن يبحث في التراث ويعمل بنصيحة الدكتور الجابري بأن ننقي من داخل التراث ما يفيدنا في نقد التراث؛ ففكر وقد فوجد بغيته في تبني قول النظام بالصرفة ونفي الإعجاز كما فعل الدكتور نصر أبو زيد حيث يقول: " إذا توقفنا قليلاً عند مفهوم " الصرفة " ، وهو المصطلح الذي شاع بعد ذلك وصفا لتفسير النظام ، قلنا إن النظام يجعل المعجزة أمراً واقعاً خارج النص ، ويرتبط بصفة من صفات قائل النص وهو الله . وانطلاقاً من مبدأ التوحيد الذي حرص المعتزلة على تأكيده حرصاً شديداً يمكن أن نقول أن تصور النظام والمعتزلة للنص بأنه كلام ، وبأنه فعل من أفعال الله التي ترتبط بوجود العالم ، وما ترتب على ذلك من قولهم

نصر أبو زيد أكثر صراحة حيث يقول : "إذا كان مبدأ تحكيم النصوص يؤدي إلى القضاء على استقلال العقل وتحويله إلى تابع يقتات بالنصوص ويلوذ بها ويحتمي ، فإن هذا ما حدث في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية" أهـ^(١٢٤)، فتصر أبو زيد يرى أن العقل لابد أن يتمرد على شريعة رب العالمين وأنه إذا جعل مرجعيته إلى النص القرآني فإنه يفقد استقلاله وفاعليته.

ويؤكد هذا المبدأ د. حسن حنفي حيث يقول : " مهمة التراث والتجديد التحرر من السلطة بكل أنواعها ، سلطة الماضي وسلطة الموروث ، فلا سلطان إلا للعقل ، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع " أهـ^(١٢٥).

ويعبر حنفي بشكل أكثر جرأة فيقول : "الألفاظ الشرعية عاجزة عن أداء مهمتها في التعبير عن المضامين المتجددة :لذا يجب التخلص منها" أهـ^(١٢٦).

وهذا الهدف هو الذي يريده التيار العلماني التخلص من مرجعية النصوص الشرعية والتي كانت عائقاً أمام مشروعهم التغريبي الذي يحاولون من خلاله مسح الهوية الإسلامية في المجتمعات الإسلامية .

المآل الخامس

تجوير وقوع التحريف والزيادة والنقصان في القرآن.

وهذا لأنه كلام بشر فلا مانع عقلاً من دخول التحريف والزيادة والنقصان عليه . وكذلك أسسوا قاعدة فاسدة وهي :أن القرآن

معنى المعجزة الذي اشرنا إليه فيما سبق كان يمكن لو سلموا بوجودها في بناء النص اللغوي أن تؤدي إلى مفارقة الوحي- من حيث هو نص لغوي - لقدرة الإنسان ، وتؤدي من ثم إلى تحويل الوحي إلى نص "مفلق" مستعص على الفهم والتحليل . لقد كان التسليم بقدرة الإنسان على الفعل وعلى فهم الوحي معاً هو الدافع وراء محاولة تفسير " الإعجاز " من خلال مفهوم " التوحيد " ومن خلال صفتي " القدرة " و " العلم " بصفة خاصة . إن "عجز" البشر عن الإتيان بمثل الوحي نابع من تدخل الهي سلبهم القدرة ، ونابع من " علم " بالماضي والمستقبل لا يتاح للإنسان . أهـ^(١٢٩).

ويقرر أبو زيد وغيره بأن هناك شبهة بين النص القرآني والشعر الجاهلي وأنه تشكل بناء على الثقافة المعاصرة للنبي صلى الله عليه وسلم^(١٣٠).

وبنى هؤلاء بعد نفي الإعجاز أن يكون الإعجاز يشمل آيات الأحكام وأنها ليست من القرآن المعجز المنزل من عند الله .^(١٣١)

المآل الرابع

إسقاط مرجعية النص القرآني :

يقول د.نصر أبو زيد : "أن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها ، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا ، علينا أن نقوم بها الآن وفوراً قبل أن يجرفنا الطوفان" أهـ^(١٣٢)، ويقول أيضاً : "إن حل كل مشكلات الواقع إذا ظل معتمداً على مرجعية النصوص الإسلامية يؤدي إلى تعقيد المشاكل " أهـ^(١٣٣)، ونجد

حسن حنفي

واقعا المعاصر يتمركز فكرنا على الله ولم تطور المكتسيات الإنسانية في تراثنا القديم على الرغم مما نحن فيه من مآسي الإنسان التي كان يمكن أن نجعله محورا أساسيا في فكرنا القومي».

فإذن مشروع حنفي في جملته إحياء وتمرد على الدين وتقريفة من محتواه، وذلك بإلغاء ثوابته ومطلقاته ومقدساته: «الله، النبوة، الرسالة، الوحي، الغيب... إلغاء كل ذلك...» يقول في كتابه «التراث والتجديد»، «فهمة التراث والتجديد هي التحرر من السلطة بكل أنواعها سلطة الماضي وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للمقتل ولا سلطة إلا لضرورة الواقع الذي نعيش فيه وتحرير وجداننا من الخوف والرعب والطاعة والسلطة سواء كانت الموروث أو سلطة المنقول».

لذلك تنتهي ربوبية العقل بحسن حنفي بنفي التواصل بين الديانات بل يصبح الإلحاد عين الإيمان يقول: «الإلحاد هو التحول من القول إلى العمل، ومن النظر إلى السلوك، ومن الفكر إلى الواقع، إنه وعي بالحاضر... بل هو المعنى الأصلي للإيمان».

ويقول: «الكثير ليس تعصبا وإيمانا بعتيدة مضادة أو حتى أزمة نفسية أو تقليدا، بل هو كفر واع بناء على تحليل لتصورات الإنسان عن الأنومية في لحظات ظهورها في التاريخ».

بتصرف عن مقال إلكتروني بعنوان: حسن حنفي والحداع المعلن- أسامة الهتمي.

حصل على الدكتوراه من السوربون عام ١٩٦٦، عين أستاذا لتدريس الفلسفة في جامعة القاهرة، شغل منصب السكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية، يقدم نفسه على أنه صاحب مشروع اليسار الإسلامي... ويعتبر حسن حنفي أن اليسار الإسلامي هو النقد الذاتي للحركة الإسلامية وهو التيار المعارض والمصحح داخل هذه الحركة الإسلامية، وهذه الدعوى (التمسح بالحركة الإسلامية) مردها نشأته الأولى في داخل أحضان جماعة الأخوان المسلمين لذا فهو يعتبر نفسه عراب لتجربة مهاتير في ماليزيا وأردشان في تركيا من خلال التأثير الفكري في قيادتها... ومع ذلك تمثل فلسفة حنفي قيمة للتناقض مع هذه الدعوى، فهو يرى أن العلمانية أساس الوحي و «لا يوجد دين في ذاته، بل يوجد تراث لجماعة معينة ظهر في لحظة تاريخية محددة ويمكن تطويرها طبقا للحظة تاريخية قائمة».

فهمة الإصلاح والتجديد تعني الأخذ من التراث ما يوائم الواقع بحسب فهم حسن حنفي وطرح ما سواء يقول: «إن مهمة التراث والتجديد إذن هي إعادة كل الاحتمالات القديمة، بل ووضع احتمالات جديدة واختيار أنسبها لحاجات العصر؛ إذ لا يوجد صواب وخطل نظري للحكم عليها، بل لا يوجد إلا مقياس عملي، فالاختيار المنتج الجيد لمطالب العصر هو الاختيار المطلوب، ولا يعني ذلك أن باقي الاختيارات خاطئة، بل يعني أنها تظل تفسيرات محتملة لظروف أخرى وعصور أخرى ولت أو مازالت قائمة...» ويقول: «وما زلنا نحن في

هو ما أخذ مشافهة وهذا لم يعد موجودا، وأما ما كتب في المصاحف فإنه اجتهاد من الصحابة ودخله الزيادة والنقصان، والدكتور الجابري من هؤلاء -بعد أن ساق كلام الطوائف في التحريف وكلام الشيعة- ختمها بقوله: "ومع أن لنا رأيا خاصا في معنى "الآية" في بعض هذه الآيات، فإن جملتها تؤكد حصول التغيير في القرآن وأن ذلك حدث بعلم الله ومشيئته" أه^(١٧). وقد صرحوا بأنهم اعتمدوا على القول بخلق القرآن الذي تبنته المعتزلة

والأشاعرة كما تقدم معنا فمن ذلك يقول طيب تيزيني-مقرر أن النص القرآني له قرأتان-: "القراءة الأولى: ترفض كل ما من شأنه المس بفكرة تمامية المتن القرآني حفاظا على الوحدة الإسلامية، القراءة الثانية: أن المتن المذكور تعرض-فعوا أوبنية سيئة- لتفسير معين، إما بسبب نزاعات سلطوية أخضعت القرآن وظيفيا لاحتياجاتها -مثال عثمان وابن مسعود- وإما لأن الكلام القرآني ليس كلام الله -مثال المعتزلة والأشعري" أه^(١٨)

والإنسان على الأرض لأنه خطاب للإنسان بلغته، وإذا مضينا في التحليل الفلسفي إلى غايته التي ربما غابت عن المعتزلة نصل إلى أن الخطاب الإلهي خطاب تاريخي وبما هو تاريخي فإن معناه لا يتحقق إلا من خلال التأويل الإنساني أنه لا يتضمن معنى مفارقاً جوهرياً ثابتاً له إطلاقية المطلق، وقداسة الإله" أه^(١٤٢) فكلما أبوزيد يبين أنه ما وصل إلى نتيجته التي يرمي إليها وهي نزع القداسة عن القرآن إلا بتبني قول المعتزلة بخلق القرآن الذين فتحوا لهم الباب على مصراعية، وأن القول بتاريخية القرآن لن يكون إلا بعد إثبات خلقه. (١٤٣) وينص على هذا بعضهم بكل صراحة دون موارد، يقول طيب تيزيني: "من هنا كانت الأهمية الملفتة لمحاولة التيار الاعتزالي في ذلك المجتمع النظر في الكلام (النص) القرآني على أنه مخلوق، ذلك لأن مثل هذا النظر يتيح للباحث والفقيه والمؤمن العادي جميعاً وكل من موقعه وفي ضوء إملاءاته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها أن يتصرفوا بالكلام المذكور بمثابة بنية تاريخية مفتوحة تخضع لاتجاهات التغير والتبدل التي تطرأ على تلك الوضعيات الاجتماعية المشخصة" أه^(١٤٤)

ويقول أركون: "إن التاريخية ليست مجرد لعبة ابتكرها الغربيون من أجل الغربيين، وإنما هي شيء يخص الشرط البشري منذ أن ظهر الجنس البشري على وجه الأرض. ولا توجد طريقة أخرى لتفسير أي نوع من أنواع ما ندعوه بالوحي أو أي مستوى من مستوياته خارج تاريخية انبثاقه، وتطوره أو

وبعضهم كان أكثر جرأة وصراحة وهو د.شحرور حيث يقول: "وعلينا أن نعلم أن هذه الآيات (أم الكتاب) قابلة للتزوير وقابلة للتقليد، ولا يوجد فيها أي إعجاز، بل صيغت قمة الصياغة الأدبية العربية" أه^(١٤٥)

المآل السادس

القول بتاريخية النص القرآني^(١٤٥)

والمقصود بتاريخية النص القرآني: أن القرآن بما أنه نص بشري فهو جأء لمعالجة أحداث في زمان النزول للقرآن وصدوره من محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يصلح لهذا الزمان، ورتبوا عليه أشياء كثيرة وخطيرة.

وقد نص أركون على مراده ذلك بقوله "أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح عملياً قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلامي ألا وهي: تاريخية القرآن، وتاريخية ارتباطه بلحظه زمنية وتاريخية معينة" أه^(١٤٦)، وهي من أكثر القضايا التي ردها التيار العلماني لتقرير تاريخية النص استناداً على قول المعتزلة بخلق القرآن وهي من أوضح وأجلى مآلات هذه البدعة الخطيرة في الفكر العربي المعاصر والتي كانت باباً ولج منه العلمانيون للطمع في الدين ومصادر تشريعاته.

يقول نصر أبوزيد "أن مسألة خلق القرآن كما طرحها المعتزلة تعني بالتحليل الفلسفي أن الوحي واقعة تاريخية ترتبط أساساً بالبعد الإنساني، من ثنائية الله والإنسان أو المطلق والمحدود، الوحي في هذا الفهم تحقيق لمصالح

والقول بتاريخية النص له آثار وخيمة ومآلات عظيمة يمكن تلخيصها في :

- ١-نفي حقيقة الوحي .
- ٢-جعل الوحي أسطورة من الأساطير.
- ٣-التحرر من سلطة الوحي وأحكامه .
- ٤-إلغاء أسبقية المعنى وهذا يعني القضاء على النص تماماً .
- ٥-أنه لا حقيقة ثابتة للنص ، بل إن كان فيه حقيقة فهي نسبية زمنية .
- ٦-نفي القداسة عن النص ، ونقله إلى حقل المناقشة والنقد الهادم .
- ٧-القول ببشرية النص، وأنه ليس من وحي الله تعالى ، فلا عصمة له .^(١٤٧)

نموه عبر التاريخ ، ثم المتغيرات التي تطرأ عليه تحت ضغط التاريخ ... ينبغي أن أكرر هنا مرة أخرى ما يلي : إن التاريخية أصبحت " اللامفكر فيه " الأعظم بالنسبة للفكر الإسلامي لسبب تاريخي واضح جداً يتمثل في رد الفعل السني الذي حصل على يد المتوكل عام ٨٤٨م ، أي قبل حوالي ألف ومائتي سنة . ثم تلاه ورسخه رد الفعل القادري ، وهو رد الفعل الذي أدى إلى تصفية الفلسفة التي تشتمل على علم الكلام المعتزلي وبخاصة ما يتعلق منه بالأطروحة القائلة بخلق القرآن . قد سارت على نهج المتوكل جميع الأنظمة السياسية التي تعاقبت على أرض الإسلام منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا^(١٤٥) . وهذا الكلام مستقى أيضاً من المستشرقين.^(١٤٦)



وكالة الاستشراق الفكرية

أن يصلوا إلى مستوى ذملائهم الغربيين أنفسهم من حيث السيطرة على المنهجية العلمية " . ولذا نجد أن معهد الدراسات الإسلامية في مونتريال بكندا قد بدأ منذ أكثر من خمسين سنة وشجع الطلاب العرب والمسلمين على دراسة أوضاع بلادهم تحت إشراف أساتذتهم من المستشرقين . وقد كان المبرز الذي ذكره تقرير هابتر لذلك أن الطالب العربي المسلم يكون بعيدا عن بلاده ومشكلاتها ويستطيع بالتالي أن يبحث بحرية وتجرد أكثر مما لو كان في بلاده . ونحن نضيف سببا رئيس آخر وهو أنه يسهل تمريره ما دام يحمل توقيع اسماء مسلمة . . . [مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية : هل انتهى الاستشراق حقا (٢٨٣/٤٢)]

وتلمع هذا التوجه في كتابات الجابري حيث يقول :

" فقد يتم التفكير في قضايا ثقافة معينة بواسطة ثقافة أخرى ، ومع ذلك يبقى الفكر متتميا إلى هذه دون تلك ... ومثل ذلك المستشرقون فهم سيظلون " مستشرقين " يطلبون الشرق لأنهم يقعون خارجة ، أي يفكرون في بعض قضاياهم من موقع يقع خارج إحدى ثقافات ، وبالتالي فلا يمكن أن ينتموا إلى الثقافة العربية لأنهم يفكرون في قضاياها من خارجها ، بل ومن خارج محيطها الخاص " .
تكوين العقل العربي : ص ١٢

لكن لا نقترب بهذا الكلام ، فإنه من باب ذر الرماد على العيون المقصود منه طمأنة القاري العربي وتخديره للوثوق في كتابات المؤلف فيسهل عليه بلع السم الزعاف .

قال محمود إسماعيل :

" وحسبنا الحكم على الجابري ومقولاته في هذا الصدد بأنها ترديد لأراء رخيصة عفى عليها الزمن باعتراف الكثيرين من المفكرين الأوربيين ، بل القول بأن ما قدمه يعد " استشراقا غريبا جديدا " بسبب عدم القدرة على الاعتناق من " التبعية الفكرية " للغرب " . [قراءات نقدية في الفكر العربي المعاصر ص ١٢]

ويقول " بأنه ترديد لمقولات الاستشراق الكلاسيكي خصوصا المتحامل منه على الفكر الإسلامي ، وإعادة صياغتها ودعمها بمناهج غربية حديثة ومعاصرة " ص ٢٢ . بل هو يدعي أن هذا الحكم على عمل الجابري إطباق من كل الدراسات التي تناولت فكره .

لا يعزب على أي قارئ له أدنى إلمام بدراسات الاستشراق ، أن يدرك أن هذه الأراء الواردة في البحث عن المذاهب المعاصرة نبذة عتيقة من بواكير الدراسات الاستشراقية . لكن عقنما من جهة ، واستزراعها في أرض غريبة من ناحية أخرى ، أدى لحدوثية تأثيرها في اختراق بناء الإسلام ، لذا تبني الغرب إستراتيجيات مغايرة من وجهين :

الأول : التنصل عن مصطلح " الاستشراق " لصعوبة التحرر من التوابع الإمبريالية والتشويرية التي ارتبطت به . خاصة بعد دراسة إدوار سعيد و أنور عبد الملك . . .

ولذلك تجد تمللا عاما عندهم من هذه الكلمة ، لأن اسم الزعاف الذي يأتي مئلف باسم التحقيق العلمي والمصنف والمترجم صار لا ينطلي على أحد . قال برنارد لويس في مقالة بعنوان " مسألة الاستشراق " بعد إصدار كتاب إدوار سعيد بأريمة أحوال : يحكي ما توصل إليه المستشرقون في مؤتمرهم العالي في باريس ١٩٧٢ : لقد أصبحت كلمة (مستشرق) منذ الآن فصاعدا ملوثة هي الأخرى أيضا ، وليس هناك أمل في الخلاص . ولكن الضرر هنا أقل ، لأن الكلمة كانت قد فقدت قيمتها وحتى أولئك الذين تدل عليهم تخلوا عنها .. وكانت مناسبة جيدة لإعادة النظر في طبيعة المؤتمر ووظائفه . ثم سرعان ما تبين لهم أنهم متفقون جميعا على ضرورة التخلي عن هذه التسمية : تسمية الاستشراق [مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية : هل انتهى الاستشراق حقا (٢٨٧/٤٢) ، لذا تم التصويت في نفس المؤتمر على تغيير الاسم وتسمية الجمعية باسم " المؤتمر العالي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا "]

الثاني : تدجين نخب فكرية مغترية من دينها مبتكرة لذاتها وقرائها من أبناء المسلمين تقوم بذات العمل تحت مسمى " نقد التراث " وتتبنى نفس المخرجات

لا أدل على ذلك من قول المستشرق الفرنسي كلود كاهين : " وفي يومنا هذا نلاحظ أن خط التقدم العلمي والنضج الثقافي اللازم لدراسة هذه الحضارات [الشرقية أو الغربية] لا يزال يمر من خلال الاستشراق الغربي أي من خلال الفكر التاريخي والفيلولوجي والاجتماعي الأوربي ... وتلاحظ أن بعض الشرقيين الأذكياء والجريئين قد أخذوا يسلكون هذا الطريق ، واستطاعوا في بعض الحالات

الخاتمة

وتحتوى على أهم النتائج والتوصيات:

النتائج:

أولاً: أهمية العناية بكتب السلف في القرون المفضلة؛ فهم أعمق الأمة فهماً وعلماً بمراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: خطورة البدع في الدين وخاصة ما يتعلق بأصول الدين ومحكماته مثل بدعة خلق القرآن؛ لما لها من تداعيات ومآلات عبر العصور على الأمة وعلى عقيدتها .

ثالثاً: أثر الديانات المحرفة، والفلسفات الوثنية- وخاصة الفلسفة اليونانية -على الطوائف المنحرفة عن عقيدة المسلمين.

رابعاً: أنه لا فرق جوهرى بين الأشاعرة والمعتزلة في القول بخلق القرآن؛ إذ يتفقون على أن الموجود بين أيدي الناس وبين دفتي المصحف مخلوق وليس هو كلام الله الذي هو صفة من صفاته.

خامساً: أن المآلات التي أفرزتها هذه العقيدة الفاسدة -بدعة القول بخلق القرآن- لها آثار خطيرة استمرت عبر الأزمان، وأن ما حذر منه السلف وبالفوا في التحذير منها تجلى بصورة واضحة في استفادة التيار العلماني من مثل هذه السقطات والزلات التي تروج باسم عقيدة المسلمين وأنها من تراثهم.

التوصيات

أولاً: الاهتمام بنشر اعتقاد السلف بكل الوسائل المتاحة وتقريبه من عامة المسلمين؛ حتى يقطعوا الطريق على المشككين في مصادر الدين وأصوله الكبرى.

ثانياً: توجيه الأقسام العلمية في الجامعات بالعناية بكتب السلف تعليماً وبحثاً وتحقيقاً وتعريفاً والرد على كل الشبهات التي تثار حولها لما لها من أثر إيجابي في ترسيخ الاعتقاد الصحيح بطرق علمية عقلية سهلة وواضحة.

ثالثاً: عدم التهوين من شأن البدع والقائلين بها، والتحذير منها والرد عليها ونشر هذه الردود في الوسائل الإعلامية المتاحة، فإن لكل قوم وارث، وتجلى بصورة واضحة في بدعة خلق القرآن، وكيف أنها تروج منذ أكثر من ألف ومائتي سنة.



١. مجموع الفتاوى (١٢/٦-٧).
٢. الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص ٨٩.
٣. خلق أفعال العباد ٢/٤٠ برقم (٦٩).
٤. مجموع الفتاوى (٤٧٧/٢).
٥. الإمام الهروي: هو شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن مت الأنصاري ، ولد بمدينة هرة بأفغانستان ، سنة ٣٩٦هـ ، كان زاهداً عابداً ، قائماً بالسنة والدين ، كريماً شهماً ، شجاعاً يصدع بالحق والرد على أهل البدع وأوذي بسبب ذلك كثيراً ، رحل وطلب العلم وكتب عن جمع غفير من أهل العلم في جميع الفنون منهم: البيهقي ، والصابوني وغيرهما ، ومن أبرز مؤلفاته : ذم الكلام ، والفاروق في الصفات ، تكفير الجهمية ، كانت وفاته سنة ٤٨١هـ عن خمس وثمانين عاماً . انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/٥٠٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة ١/١١٣ لابن رجب ، ت: العثيمين ، مقدمة دراسة محقق كتاب ذم الكلام ، أبوجابر الأنصاري (٢٨/١).
٦. ذم الكلام وأهله للهرابي (١١٨/٥) ت: أبوجابر عبد الله الأنصاري.
٧. الرد على الجهمية للدارمي ص ١٧ ت: بدر البدر ، وممن نص على الأولوية المقدسي في الحجة على تارك المحجة (انظر الحافظ محمد المقدسي ومهجه في العقيدة مع دراسة وتحقيق كتاب الحجة على تارك المحجة ت: د. عبد العزيز السدحان ٢/٦٠٩).
٨. اخرج هذه القصة : البخاري في خلق أفعال العباد (١٠٩-٢) برقم (٣) ، والدارمي في الرد على الجهمية ص ١٧ ، وفي الرد على المريسي ص ٣٢٤ ، ت: منصور السماري ، والخلل في السنة (٨٧/٥) ، والآجري في الشريعة (١١٢٢/٣) برقم (٦٩٤) ، (٢٥٦٠/٥) برقم (٢٠٧٢) ، وابن بطة في الإبانة (القسم الثالث- الرد على الجهمية (١٢٠/٢) برقم (٢٨٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/٣١٩) برقم (١٤٣).
٩. انظر : الحموية ص ٢٤٣ ت: حمد التويجري ، بيان تلبيس الجهمية ٢/٢٢٦ ، ٣/٥٨ ، ٤/ ٦٠٤ ، ٦/٣١٥ ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٥/٢٠ ، ١٢/١١٩ ، ٢٦ ، درء تعارض العقل والنقل ١/٣١٢-٣١٣ ، ٥/٣٥٩ ، ٢٤٤ ، الصواعق المرسلة ٣/١٠٧١ ، طريق الهجرتين ١/٢٩٥ .
وقد جاءت القصة في الكامل في التاريخ لابن الأثير حوادث سنة ١٤٢هـ سيرة هشام بن عبد الملك (٤/٢٥٥) حوادث سنة ١٢٢هـ ذكر قتل مروان بن محمد ، (٤/٣٢٢) ، (٥/٢٩٤) حوادث سنة ٢٤٠هـ .
وفي البداية والنهاية (١٣/١٤٧) وقال : «هو أول من قال بخلق القرآن» .أهـ .
وفي سير أعلام النبلاء (٤٣٢/٥) ، وتاريخ الإسلام (وفيات ١٠١-١٢٠) ص ٣٢٧ . وقال : «هو أول من ابتدئ بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولا كلم موسى ، وأن ذلك لا يجوز على الله » أهـ .
وفي مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٦/٥٠) حيث قال عن الجعد : «وكان أول من أظهر القول بخلق القرآن من أمة محمد» أهـ .
١٠. انظر : مجموع الفتاوى ٥/٢٠ ، بيان تلبيس الجهمية ٦/٣١٥-٣١٦ ،
١١. بيان بن سماعيل ويقال أبان ، النهدي التميمي ، ظهر في العراق بعد المائة ، وكان تبنياً يتبن التبن في الكوفة

، كان زنديقاً ادعى النبوة لنفسه ، وادعى ألوهية علي رضي الله عنه ، وكان يقول بالتجسيم أيضاً. قتله خالد القسري ، وله أتباع من فرق الشيعة تدعى البيانية . أنظر: ميزان الاعتدال ٣٥٧/١، الفرق بين الفرق ٢١٦، الفصل لابن حزم ٤٤/٥، الملل والنحل للشهرستاني ١٥١/١، جهنم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامي ص ٢٩.

١٢. طالوت :لم أجد له ترجمة .

١٣. لبيد بن الأعصم :من أحبار اليهود وهو من بني قريظة، وهو الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول بخلق التوراة .، انظر: أنساب الأشراف للبلاذري ٣٢٢/١ ، الكامل لابن الأثير ٢٩٤/٥.

١٤. انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢٩٤/٥) ، ومختصر ابن عساكر لابن منظور (٥١/٦) ، الوافي بالوفيات للصفدي (٨٦/١١) ، وانظر : إيجاز القرآن للرافعي ص ١٤٢.

١٥. خلق أفعال العباد ٢/٣٠ برقم (٤٢) .، ونقل الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦١/٧) أن والده كان يهودياً.

١٦. انظر: مختصر تاريخ ابن عساكر (٥٠/٦) ، الذهبي في تاريخ الإسلام وفيهات: (١٠١) - ١٢٠، ت: ٣٢٧، ٣٢٨/٢٤٢، ٧. وأشار إلى سكناه حران الإمام أحمد كما نقل عنه شيخ الإسلام دره التعارض ٣١٢/١ ، وانظر : مقالة التعطيل والجمع بن درهم للدكتور محمد خليفة التميمي ص ١٤١.

١٧. منهاج السنة (٩١/٢) ، وانظر : دره التعارض ١٨٧/٤ ، ٢١٦/١ ، التسعينية (٢٥٠/١) .

١٨. السنة لعبد الله بن أحمد (١٧٠/١) برقم (١٩٨) .

١٩. مقالات الإسلاميين (١٧٦-١٧٧) .

٢٠. أبو الهذيل العلاف هو: محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي المشهور بالعلاف ، من أئمة المعتزلة ولد بالبصرة سنة ١٢٥هـ . قال عنه الخطيب :«شيخ المعتزلة ، ومصنف الكتب في مذاهبهم ، وكف بصره في آخر عمره = ، وكانت وفاته سنة ٢٢٦هـ ، انظر : لسان الميزان (٥٦١/٧) ، وفيهات الأعيان (٢٦٥/٤) ، تاريخ بغداد (٥٨٢/٤) ، السير (٥٤٢/١٠) .

٢١. أرسطو طاليس بن نيقوماخوس الفيثاغوري، من أهل أسطاغيرا، وهو المقدم المشهور والمعلم الأول ، فيلسوف يوناني ، ولد سنة ٣٨٤ق.م ، وتتلذذ على أفلاطون ، وعلم الإسكندر الأكبر ، وكان يحاضر ماشياً فسمي هو = وأتباعه بالمشائين ، من كتبه النفس، والشفاء وغيرها ، أنظر : تاريخ الحكماء للقفطي ص ٢٧، موسوعة أعلام الفلسفة ٧٢/١ ، موسوعة الفلسفة ليدوي ٩٨/١.

٢٢. ممن استبعد هذا الأمر وشكك في الرواية مرة لمعناها ومرة لضعف سندها بزعهم مثل : الكوثري أنظر التكتيل للمعلمي (٢٥٤-٢٥٦) ، (٢٩١/١) ومشهور حسن سلمان أنظر: قصص لانتبت ٢٥٦/٣ ط. دار الصميعي ، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسير أعلام النبلا عند ترجمة الجعد (٤٢٣/٥) وحاول أن ينفي القصة والسند لليهود وأن المعروف عنهم التشبيه لا النفي ، وبعضهم يطلع في خالد بن عبد الله القسري وكأنه يرى أن الخلاف سياسياً وليس عقدياً مثل الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٢٨-٤٢ ، وكذلك الأستاذ على سامي النشار في نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (٢٣١/١) ، وعموماً ما طعن فيه بسبب سند القصة فأمر التاريخ والقصص يكفي اشتهاها واستفاضة خبرها عند الناس ولا يطبق عليها قواعد المحدثين ، إضافة إلى كثرة تعدد طرقها ، وأما خالد القسري

فإن المؤرخين من علماء أهل السنة وعلمائهم أثبتوا عليه كثيراً ولم يقدحوا فيه ، ويكفي أن جمعاً من المحدثين والمؤرخين المحققين أثبتوا هذه القصة وأكدوها ، وكما قال الإمام الدارمي: -رحمه الله - في الرد على الجهمية ص ١٧ : «وأما الجعد فأخذه خالد بن عبد الله القسري ، هذبحه بواسط يوم الأضحى ، على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين ولا يعيبه به عائب ، ولا يطن عليه طاعن بل استحسبوا ذلك من فعله وصوبوه من رأيه » أهـ. والأئمة بعد الجهم مع أنهم كانوا في خصومة مع السلطة السياسية في وقتهم إلا أنهم ردوا على الجهم والجعد وحذروا من مقالاتهم كالإمام أحمد وغيرهم كثير فكيف يكون دافعهم سياسي ، وللاستزادة في الرد على هذه الفرية انظر : مقالة التعطيل والجعد بن درهم للدكتور محمد التميمي ص ١٨١-١٩٨ ، وانظر مجموع الفتاوى ١٢ / ٢٥٠ ، التنكيل للمعلمي (١ / ٢٥٥-٢٥٦، ٢٩١).

٢٣. فيلون الأسكندري : ، ويقال فيلو ، فيلسوف يوناني يهودي ، حاول أن يمزج بين العقائد اليهودية الأساسية بالأفكار الرئيسية للفلسفة اليونانية ، وهو أول فيلسوف يهودي جمع بين اللاهوت وبين الفلسفة ، ويعد متديناً باليهودية أكثر منه فيلسوفاً ، وحاول تفسير التوراة ونصوصها بما يتفق مع الفلسفة اليونانية واتجه الى التفسير الرمزي وكان من أبرز معتقداته القول بوحدة الوجود ، وسلب الصفات عن الله . مات سنة ٢٠ ق.م .

= انظر : موسوعة الفلسفة لعبد الرحمن بدوي ٢ / ٢١٩-٢٢٨ ، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب للاستاذ روني ألفا إيلي ٢ / ٢٠٦ برقم (٨٩٥) ، قصة الحضارة (١١ / ١٠٣) ويل ديورانت .

٢٤. الأفلاطونية الحديثة : أو الجديدة هي عبارة تدل عادة على المجهود الخلاق الأخير الذي بذلته العصور الوثنية القديمة من ٢٥٠م - ٥٥٠م لإنتاج مذهب فلسفي شامل يمكن أن يلبى مطالب الإنسان الروحية جميعاً (عقلية ودينية وأخلاقية) وذلك بتقديم صورة شاملة ومتسقة منطقياً للكون ومكان الإنسان فيه ، وفي هذه المرحلة مزجت كثيراً من الاعتقادات بالقضايا الفلسفية البحتة ويعتبر أشهر مؤسسيها أفلوطين . ويعتبر من أبرز من مهد لها الفيلسوف اليهودي فيلون .

انظر : الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٥٢ ، موسوعة الفلسفة لعبد الرحمن بدوي ١ / ١٩٠-٢٠٩ ، المعجم الفلسفي - مجمع اللغة العربية ص ١٨ .

٢٥. أفلوطين : أو أفلوطينس ، عاش من ٢٠٥م - ٢٧٠م وهو مؤسس ما يعرف بالأفلاطونية الحديثة أو الجديدة ، وأصله من مصر ونشأته إغريقية ودرس الفلسفة في الإسكندرية في حدود عام ٢٣٢م ، ولزم الفيلسوف أمونيوس أحد عشر عاماً وأخذ عنه كثيراً وتأثر به ، وقد أمضى بقية حياته في روما ، وظل يعلم الفلسفة وكتب عنه تلاميذه بعض الرسائل ومن أشهرها التاسوعات ، ومن أبرز ما تحويه فلسفته أنه أعاد فكرة الثالوث المسيحي ، وهو مؤلف من الواحد والعقل والنفس ، وكان يقول بنظرية الفيض المشهورة وأن أول شيء فاض عن الواحد هو العقل وهو صورة الله ولكن ليس الله نفسه ، ومات بمرض الجذام بعد أن بلغ السادسة والستين من العمر .

انظر : الموسوعة الفلسفية المختصر ص ٥٩ ، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ١ / ١٠٦-١٠٨ ، موسوعة الفلسفة لبدوي ١ / ١٩٦ ، قصة الحضارة ١١ / ٢٩٩

٢٦. أشار إلى هذا عبد الرحمن بدوي في موسوعته ١ / ١٩١ .

٢٧. قصة الحضارة ١٠٣/١١، وانظر: ٢١٠/١١.
٢٨. يقول الدكتور المسيري: «ولم يظهر التفكير الفلسفي المنهجي بين اليهود إلا في القرن الأول قبل الميلاد في فلسفة فيلون السكندري الذي حاول المزوجة بين الفلسفة اليونانية (الأفلاطونية والرواقية) والعقيدة اليهودية» أ.هـ. موسوعة اليهود واليهودية (الموجزة) ٣٤١/١.
٢٩. أشار إليها بدوي في موسوعته ٢٢٢/٢، وديورانت في قصة الحضارة ١١/٢٧٤.
٣٠. موسوعة الفلسفة ٢٢٢/٢، وانظر: الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص ٨-٩.
٣١. موسوعة الفلسفة ٢٢٥/٢.
٣٢. فلسفة الكلام لولفسون (p: ٢٧٦) the philosophy of thekalam. by wolfson.
- (نقلاً عن مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية لياسر قاضي (١/٤٩١)).
٣٣. انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢/٢٥٦-٢٦٩)، الفرق بين الفرق ص ١٤٥، ١٢٢.
٣٤. مجموع الفتاوى ٨/٤٢٥.
٣٥. فلسفة الكلام لولفسون (p: ٢٦٣) the philosophy of thekalam. by wolfson.
٣٦. انظر: تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث ص ٦٥-٦٦ تأليف: زالمان شازار.
٣٧. يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: «وأما مذهبنا في ذلك، فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وهو مخلوق محدث» أ.هـ. شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٨، ونقل الآمدي أن القول بخلق القرآن عند المعتزلة محل إجماع، انظر: أبكار الأفكار ١/٢٥٤.
٣٨. لم يعرف عن الشيعة في بداية أمرهم النفي في الصفات بل كانوا مشبهة ثم تأثروا بالمعتزلة خاصة الإمامية والزيدية، وأما الخوارج فكانوا في بداية أمرهم مثبتة ولم يخوضوا في مثل هذه الأمور وبعد استقرار مؤلفات المعتزلة تبنى عبدالله بن أباض أحد زعمائهم المتأخرين رأي المعتزلة وأصبح هو رأي الفرقة لاحقاً. يقول شيخ الإسلام (بيان تلبيس الجهمية ٤/٢١٢): «وأما الخوارج الذين كانوا في زمن الصحابة وكبار التابعين فأولئك لم يكن قد ظهر في زمنهم التجهم أصلاً ولا عرف في الأمة إذ ذاك من كان ينكر الصفات، أو ينكر أن يكون على العرش، أو يقول: إن القرآن مخلوق، أو ينكر رؤية الله تعالى، ونحو ذلك مما ابتدعه الجهمية من هذه الأمة» أ.هـ. وابن القيم عقد مقارنة بين المعطلة المؤولة وبين الخوارج في نونيته (٢/٥٦١) البيت رقم (٢٢٢٢) حيث قال:
- «ولهم عليكم ميزة الإثبات والتصدق مع خوف من الرحمن» أ.هـ.
- = انظر: بحثاً نفسياً في تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للباحث: عبد اللطيف الحفظي (تأثيرهم على الخوارج ص ٢٢٤-٢٢٦)، (تأثيرهم على الشيعة ص ٤٠١ (الزيدية)، ص ٤٦٠ (الإمامية). يقول شيخ الإسلام (منهاج السنة ٢/٦٠٥): «فإن جميع ما يذكره الإمامية المتأخرون في مسائل التوحيد والعدل كابن النعمان والموسوي الملقب بالمرتضى وأبي جعفر الطوسي وغيرهم مأخوذ من كتب المعتزلة بل كثير منه منقول نقل المسطرة، وبعضه قد تصرفوا فيه...» أ.هـ.
٣٩. مجموع الفتاوى ١٢/٥٥٧، جامع الرسائل والمسائل ٢/٢٥٢ (رسالة بعنوان كلام مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم).

٤٠. أي الفائلون صراحة بخلق القرآن وهم الجهمية والمعتزلة .
٤١. مجموع الفتاوى ١٢/١٢٠-١٢١.
٤٢. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ١١٦.
٤٣. في نهاية إقدام العقول نقله شيخ الإسلام في التسعينية ٥٩٧/٢
٤٤. التسعينية ٦١٨/٢.
٤٥. بحر الكلام لأبي المعين النسفي ص ١٤٥، وراجع أيضا المواقف للإيجي : ص ٢٩٣ ، و التوحيد للماتريدي ص ٥٩
٤٦. شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص ١١٤-١١٥.
٤٧. شرح المقاصد للتفتازاني ١٤٦/٤.
٤٨. وهذا القول تبناه مشايخهم المعاصرين أمثال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حيث يقول في كتابه: كبرى اليقينيّات الكونية ص ١٢٦: «وأما الكلام الذي هو اللفظ فاتفقوا (يعني الأشاعرة والمعتزلة) على أنه مخلوق» أهـ. وأشار إلى هذا الاتفاق الألويسي في روح المعاني ١٦٧/١٥ عند تفسير قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) (الإسراء: ٨٨).
٤٩. نقل شيخ الإسلام عن الأمدي حيرته وورود الإشكالات التي لا يستطيع حلها حول القول بالكلام النفسي انظر: درء التعارض ١١٩/٤.
٥٠. انظر كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام في التسعينية ٨٧٣/٢-٨٧٥، ٢-٨٧٥، ٩٦٦-٩٦٦.
٥١. المصدر السابق ٩٨١/٢.
٥٢. المناظرة في القرآن لابن قدامة ص ٨٣.
٥٣. انظر: للاستزادة في سرد كلام السلف وإجماعاتهم ونقولهم : اللالكائي (٢٥٣-٢٨٤)، الشريعة للأجري (٤٨٩/١)، الإبانة لابن بطة - القسم الثالث - الرد على الجهمية (٥/٢)، العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص ١٣٨-١٤٧، الآثار المروية عن السلف في العقيدة - في كتاب تاريخ مدينة دمشق - جمعاً وتحقيقاً ودراسة - (٧٣٨/٢-٧٧٠)، تأليف توفيق كمال طاش، الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء - جمعاً وتخريجاً ودراسة - (٢١١/١-٤٣٧)، إعداد: د. جمال أحمد بشير بادي .
٥٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٤٤/١) برقم (٤٩٣).
٥٥. رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١٥٦/١) برقم (١٤٥)، واللا لكائي (٢٤٩/٢) برقم (٤١٠) والآجري في الشريعة (٥٠١/١) برقم (١٦٥)
٥٦. الإبانة لابن بطة - القسم الثالث (٦٧/٢) برقم (٢٨٦)، السنة للخلال ١٧/٦ برقم (١٨٣٤)،
٥٧. رواه الإمام البخاري في خلق أفعال العباد (١١/٢) برقم (٥) ت: د. فهد الفهيد ، وعبد الله في السنة (١١٣/١) برقم (٢٩) ت: د. محمد سعيد القحطاني ط. دار ابن القيم ط. ١٤٠٦ هـ، الاجري في الشريعة (٤٩٧/١)، برقم (١٦١)، اللالكائي - (٢٨٣/١) برقم (٤٢٢).
٥٨. اللالكائي ١ / ٢٤٣ برقم (٢٥٦)، الحجة في بيان المحجة (٢٢٧/١-٢٢٨).
٥٩. وللأشمري في الإبانة شرح قريب من كلام الشافعي ص ٦٥، وانظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام

أحمد ص ٢١٧، والتوحيد لابن خزيمة ٢٩٢/١، الإبانة لابن بطة ١٩٦/٢، وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لابي الخير العمراني ٥٤٦/٢.

٦٠. انظر: اللالكائي ٢٥٦-٣٥٧، وانظر استدلالاً بنفساً للأمام أبي عبيد القاسم ابن سلام رواه عن عبد الله في السنة (١٦٢/١) برقم (١٧٧)، وانظر هذا الاستنباط معزواً إلى وكيع والإمام أحمد وعبد العزيز الكفائي (الحجة في بيان المحجة ٢٢٩/١)، والإبانة لابن بطة - القسم الثالث - الرد على الجهمية ٢١٨/١.

٦١. الإبانة للأشعري ص ٦٨-٦٩، وانظر: الانتصار للمعماني ٥٤٧/٢.

٦٢. الإبانة - القسم الثالث - الرد على الجهمية ٢١٤/١.

٦٣. رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص ١٠٦.

٦٤. اللالكائي (٢٩١/١) برقم (٤٥١)، الإبانة لابن بطة - القسم الثالث - الرد على الجهمية (٣٥/٢) برقم (٢٢٥)، السنة للخلال (١٩/٦) برقم (١٨٤٨).

٦٥. الفتاوى ٤٣٤/١٢، وانظر: نكت القرآن للحافظ القصاب ٢٨٢-٢٨٣ عند قوله تعالى في سورة طه (فما آتاه نودي ياموسى إني أنا ربك فاخلع نعليك) (١١-١٢). الآية.

٦٦. اللالكائي (٢٣٠/١).

٦٧. أخرجه عبد الله في السنة (١١٠/١) برقم (٢٠)، وابن بطة في الإبانة - القسم الثالث - الرد على الجهمية (٢٧/٢) برقم (٢٢٩)، واللالكائي (٢٨٢/١) برقم (٤٢٨)، وصحح إسناده الألباني في مختصر العلو ص ١٧٤.

٦٨. خلق أفعال العباد للبخاري ١٤/٢ برقم (١٢).

٦٩. أخرجه عبد الله في السنة (١٦٣/١) برقم (١٧٢).

٧٠. خلق أفعال العباد (٢٢٢/٢) برقم (٤٥٣)، وانظر: استدلال : ابن خزيمة في التوحيد ٤٠١/١، وابن بطة في الإبانة - القسم الثالث - الرد على الجهمية (٢٦٢/١)، وابن عبد البر في التمهيد ٢٤١/٢١، ١٠٩/٢٤.

٧١. الفتاوى ٤٣٥/١٢.

٧٢. انظر: اللالكائي (٣٥٨-٣٥٩)، التوحيد لابن خزيمة ٣٩٦-٣٩٩، والحجة في بيان المحجة (٢٢٩/١)، الإبانة للأشعري ص ٦٧.

٧٣. الرد على الجهمية ص ١٣٤.

٧٤. الحجة في بيان المحجة (٢٢١/١)، وانظر نفس المصدر (٢٢٩-٢٣٠).

٧٥. الإبانة - القسم الثالث - الرد على الجهمية ٢١٢/٢.

٧٦. الإبانة للأشعري ص ٧١.

٧٧. الرد على الجهمية ص ١٣٣.

٧٨. نكت القرآن ٢٠٩/٢، وانظر نفس المصدر ٥٢١/٣، وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الخير العمراني ٥٤٠-٥٤١.

٧٩. رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١٢٧/١) برقم (٦٧)، وابن بطة - الإبانة - القسم الثالث - الرد على

- الجهمية (٦٣/٢) برقم (٢٧٢).
٨٠. خلق أفعال العباد (٥٩/٢) برقم (١١١). وانظر: الرد على الجهمية ص ١٧٤.
٨١. الرد على الجهمية ص ١٨٥-١٨٦، وانظر: نفس المصدر ص ١٥٩، والإبانة للأشعري ص ٧٠، والإبانة لابن بطة ١٢٤/٢ القسم الثالث - الرد على الجهمية.
٨٢. ذم الكلام (١٢٦/٥)، وانظر نفس المعنى عند ابن القيم في مختصر الصواعق للبعلي ١٢٠/١.
٨٣. نقل هذا الكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التسعينية (٢٤٠/١) عن كتاب لبيكندي في السنة والجماعة.
٨٤. رسالة السجزي لأهل زبيد ص ١١٠. وانظر: حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدع لابن قدامة ص ٢٢.
٨٥. الفرق بين الفرق للبيهقي ص ١٤٥ عند ذكر المعمرية من فرق المعتزلة.
٨٦. الفتاوى: (٤٧٧/٥).
٨٧. مجموع الفتاوى ٤٥٨/٨. وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود ١٢٩٨/٣ - ١٢٩٩.
٨٨. مختصر الصواعق ١٢٨٣/٤. وقد نقل كلاماً لابن عقيل الحنبلي في نفس هذا المآل فليرجع إليه ١٢٨٤/٤ - ١٣٨٦.
٨٩. الفصل (٨١/٥).
٩٠. صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٢١٦، ت: عامر ياسين. وانظر: أقاويل الثقات لمري الحنبلي ص ٢٢٣.
٩١. أخرج القصة: البخاري في خلق أفعال العباد (٤١/٢) برقم (٧١)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٦٧/١) برقم (١٩٠)، وابن بطة في الإبانة - القسم الثالث - الرد على الجهمية (٩٢/٢) برقم (٣٢٢)، ووضح إسنادها الألباني في مختصر العلو ص ١٦٣.
٩٢. انظر: فصلاً نفيساً بعنوان: عدم تعظيم المتكلمين للقرآن، في كتاب القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم - دراسة عقديّة - ١٠٨٤/٢، للباحث: محمد هشام طاهري، وتقديم: د. محمد الخميس.
٩٣. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤٢٨/٥، وانظر حول إعجاز القرآن: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣١١/١. الالتفات في علوم القرآن للسيوطي ١٨٧٩/٥، إعجاز القرآن للرافعي ص ١٣٩.
٩٤. الرد على الجهمية ص ١٦٠.
٩٥. الانتصار ٥٥٦/٢.
٩٦. صاحب هذه البدعة الفاسدة: إسحاق بن إبراهيم النظام من أئمة المعتزلة.
٩٧. يقول النظام: «الأيقوال الأعجوبة في القرآن ما فيه من الأخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم» أهـ، مقالات الإسلاميين ٢٩٦/١. وانظر ممن = أشبار إلى الصرفة: الفرق بين الفرق ص ١٣٧، الملل والنحل للشهرستاني ص ١٥٠، الأمدى في أفكار الأفتكار ٤٣/٥، إعجاز القرآن بين الإمام السيوطي والعلماء - دراسة نقدية مقارنة -، محمد حسن عقيل موسى ص ٩٣.
٩٨. انظر: الجواب الصحيح ٤٢٩/٥، وقال الأديب الرافعي في إعجاز القرآن ص ١٤٦: «وعلى الجملة فإن

القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه: «إن هو إلا سحر يؤثر»، وهذا زعم رده الله على أهله أكذبهم فيه وجعل القول به ضرباً من العمى (أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون)، فاعتبر ذلك بعضه ببعضه فهو كالشيء الواحد، أهـ.

٩٩. وهو نصر أبو زيد وسيأتي الكلام عليه في الفصل القادم إن شاء الله .

١٠٠. القائل من أئمة المعتزلة عيسى بن صبيح المراد صاحب الطائفة المردارية .انظر : الملل والنحل ص ٦٠، الفرق بين الفرق ص ١٥٥.

١٠١. إعجاز القرآن ص ١٤٦.

١٠٢. غاية المرام في علم الكلام ص ١٠٧، وانظر نفس التقرير من الأمدي في أبحار الأفكار ١/٣٦٨. وصرح الرازي بأن الإعجاز ليس بألفاظ القرآن في نهاية الإيجاز ص ٩٦-٩٩، وممن قرر هذا الغزالي في الاقتصاد ورد عليه الإمام العمراني في الانتصار ٢/٥٩٧.

١٠٣. انظر : إعجاز القرآن بين الإمام السيوطي والعلماء ص ١٠٢، وذكر منهم : الأشعري ، والاسفراييني ، والماوردي ، والبيهقي ، والراغب الأصفهاني .

١٠٤. الشفا ١/٢٧٢.

١٠٥. نسيم الرياض شرح الشفا للقاضي عياض ٢/٥٠٤.

١٠٦. إعجاز القرآن للباقلاني ص ٧٢.

١٠٧. الجواب الصحيح ٥/٤٣٤-٤٣٥، ولهذا كان رد الأشاعرة على المعتزلة حين الكلام على الإعجاز رداً ضعيفاً ومتناقضاً لأنهم يعترفون بموافقتهم للمعتزلة بأن الذي بين أيدينا مخلوق ، انظر كلام الزمخشري في الكشف ، وكيف تعقبه ابن المنير الأشعري . انظر : الكشف (٢/٤٦٥) وتعقب ابن المنير عليه عند قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن .. الآية (الإسراء: ٨٨)، وانظر : روح المعاني للألوسي ١٥/١٦٧، المسائل الاعتزالية في تفسير الكشف، إعداد صالح الغامدي ٢/٦٤٠.

١٠٨. انظر مبحثاً نفيساً حول طعونات المستشرقين في القرآن : بدعوى أنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم أو القول بأنه نقله من غيره من الديانات الأخرى وغيرها من المطاعن في كتاب : دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور عبدالمحسن المطيري ص ١٨٠-٢٥٦، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره د. عمر رضوان ٢/٦٢٨.

١٠٩. تجد هؤلاء يمجدون الفلاسفة والمعتزلة وغلاة الصوفية كالقائلين بالحللول والاتحاد كابن عربي وابن سبعين لأنهم تملدوا على الشريعة ويلبسونهم الألقاب العظيمة كأصحاب الفكر التحرري أو المتورون القدامي ونحوها من الألقاب.

١١٠. نقد الخطاب الديني ص ٦٤، وانظر : تقرير نفس المعنى : د. حسن حنفي في التراث والتجديد ص ٦٤، وكذلك أركون في الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ١١.

١١١. د. الجابري هو من نحى هذا المنحى فنجدته لم يصرح بتبني القول بخلق القرآن ولكنه قرر أمور كلها تؤدي الى هذه النتيجة :- فقد قرر أمراً مخالفاً لإجماع الأمة بأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بـ(أمي) ، لقد قرر الجابري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ويكتب، وهذا مع مخالفته لما في القرآن والسنة وما عليه العلماء أيضاً؛ هو متابعة منه لما قرره المستشرقون حول هذه الفرية حتى يطعنوا

في القرآن وأنه يمكن أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم (للجباري): ص: ٨٢، ٨٤، ٩٢، ٢١٤. وانظر دراسة نفيسة بعنوان: (أباطيل و خرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد- عليه الصلاة والسلام- دحض أباطيل عابد الجابري و خرافات هشام جعيط حول القرآن و نبي الإسلام- الدكتور خالد كبير علال). وانظر: متابعة التيار العلماني لتقرير المستشرقين حول هذه القضية: كتاب الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن، د. أحمد الفاضل ص ١٧١-١٧٤.

- وعندما عرض الجابري تعاريف الطوائف للقرآن لما ذكر تعريف أهل السنة والجماعة وهو تعريف الإمام الطحاوي - ولكنه لم يشر اليه - عقب عليه بقوله في المدخل ص ١٨: «ومن أكثر التعريفات مذهبية وأبعدها عن الاعتراف بحق الاختلاف في الفهم قول القائل: «القرآن الكريم كلام الله منه بدأ، بلا كيفية قولاً، وأنزله على وسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى - بالحيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر». لعل القاريء (الكلام للجابري الآن) قد انتبه إلى ما أضافه التعريف من جديد يتعلق الأمر أولاً بقوله (بلا كيفية قولاً) والمقصود كون القرآن «كلام الله» لا يترتب عليه أن يكون هذا الكلام ذا كيفية ككلام الواحد من البشر، وبالتالي فلا يجوز التساؤل عن حقيقة هذا الكلام: هل هو كلام بالإنفاذ أم كلام نفسي؟ وهل هو صفة زائدة على الذات كما هو الحال في كلام البشر أم أنه عين الذات إلخ. وأما العنصر الثاني الذي أضافه هذه التعريف فهو تكفير من قال بخلق القرآن، أي بكونه غير قديم، قدم ذات الله، وهذه مسألة أثارت فتنة كبيرة في العصر العباسي زمن المأمون والمعتمد والوائق وعرفت ب«محنة خلق القرآن» أهـ.

١١٢. نقد الخطاب الديني ص ١٢٩.

١١٣. قضايا في نقد العقل الديني، د. أركون ص ٢٧٩.

١١٤. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص ٢٤. وانظر: قضايا في نقد العقل الديني ص ٢٧٩.

١١٥. الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ٨٢، وله نصوص كثيرة حول هذه القضية وهو يكثر من التأكيد عليها في مؤلفاته (أنظر: الانحراف العقدي في ادب الحداثة وفكرها ص ١١٢-١١٢٨). ويوافق أركون عدد من المنظرين للنهضة من منظور علماني انظر على سبيل المثال ما قرره سعيد طالب في كتاب الثقافة والتنمية المستقلة في عصر العولمة - التخلف العربي ثقافياً أم تكنولوجياً (والكتاب على هذا الرابط في الشبكة العنكبوتية (<http://www.awu-dam.org/book-m-s/book-0-205/study-0-0-0/http://www.awu-dam.org/book-m-s/book-0-205/study-0-0-0.htm>)).

ومما جاء فيه: «فالحركة الثقافية الداعية لإحلال العقل والتجربة والملاحظة مكان النقل والتقليد والرواية بالأسانيد وإعادة الاعتبار لفكر المعتزلة والفلسفة والمنطق والعلم الطبيعي والمقابلة والمناقشة مع الآخر تشكل جوهر الفكر الحديث» أهـ.

١١٦. الثابت والمتحول - القسم الثاني (تاصيل الإبداع أو التحول) ص ٩٤، وانظر أشادته للمعتزلة: ص ٦٣-٩٦. يقول أدونيس بعد عرضه لمذهب المعتزلة وقولهم بخلق القرآن: «هكذا تتجلى أهمية التحول الذي نتج عن

الاعتزال» أهـ.. وأدونيس والحدادون عموماً يشيدون ليس بالمعتزلة فقط بل حتى بالزنادقة والمرتدين كابن الراوندي وابن عربي والحلاج وكل منحرف عن الاسلام بغية ان يجدوا شيئاً في تراث هؤلاء يخدم مشروعهـم ، ومنم أشار إلى هذا سيد ولد أبيه في جريدة الشرق الأوسط عدد (٩٠١٣) بتاريخ ٤ جمادى الثانية ١٤٢٤هـ في مقال بعنوان (تماهي الروح «النضالية» المنحازة بروح «الباحث» الموضوعي أكبر مآزق المشاريع البحثية الحديثة لقراءة التاريخ) ومما جاء فيه متحدثاً عن مشاريع العلمانيين لترسيخ ثقافتهم في المجتمعات المسلمة ما نصه «إن هذه المشاريع على اختلاف مشاربيها اتسمت بالبحث عن موطن قدم في الأرضية التراثية سواء من خلال إعادة الاعتبار لبعض نزعات واتجاهات الفكر العربي الوسيط (كالنزعة العقلانية المعتزلة أو الرشدية، وحركة الزنج....» أهـ.

١١٧. انظر : مفهوم النص لأبي زيد ص ٤٢-٤٥، حصاد العقل للعشماوي ص ٨٩، والانحراف العقدي في أدب الحديثة وفكرها ص ٩٦١-٩٦٢، والرد عليهم وبيان أصل الكلام للمستشرقين : انظر : الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن ص ١٧٥-١٨٦.

١١٨. بتصرف : الفكر العربي قراءة علمية ص ٢٤٦.

١١٩. الفكر العربي قراءة علمية ص ٢٥٠.

١٢٠. يقصد به لمن المتمسكين بنصوص الكتاب والسنة وأنهم لا يمتعون بالاستدلال العقلي وهذه فرية كبرى تكذبها كتب السلف في الصدر الأول فضلاً عن أنى بعدهم من علماء أهل السنة والجماعة .

١٢١. التراث والحدائق للجابري ص ٢٥٩.

١٢٢. المصدر السابق ص ٢٦٠.

١٢٣. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ص ٢٤.

١٢٤. المصدر السابق.

١٢٥. نقد الخطاب الديني ص ٢٠٦، وانظر نفس المعنى : مفهوم النص ص ١٠٩، ٢٠٠.

١٢٦. نقد الخطاب الديني ص ٩٩.

١٢٧. مفهوم النص ص ٢٠٠.

١٢٨. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ص ١٤٦.

١٢٩. المصدر السابق ص ١٤٧.

١٣٠. انظر : الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن ص ٢٢٠.

١٣١. قرر ذلك الدكتور محمد شحور في كتابه الكتاب والقرآن ، أنظر : كلامه والرد عليه في : التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم لمنى الشافعي ص ٢٤٧، وانظر تفصيلاً لموقف العلمانيين من الإعجاز في : الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن ص ٢١٩-٢٢٧.

١٣٢. الإمام الشافعي وتأسيس الإيدولوجية الوسطية لأبي زيد ص ١٩٠.

١٣٣. النص السلطة الحقيقة لأبي زيد ص ١٤٤.

١٣٤. نقد الخطاب الديني ص ٢٧.

١٣٥. التراث والتجديد ، د. حسن حنفي ص ٤٥.

١٣٦. المصدر السابق ص ١١٠.

١٣٧. مدخل إلى القرآن الكريم، د. الجابري ص ٢٢٢.
١٣٨. النص القرآني ص ٤١٢ (نقلاً عن الاتجاه العلماني المعاصر ص ٤٣٦).
١٣٩. الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة - د. شحرور ص ١٦٠.
١٤٠. هناك رسالة علمية قيمة حول هذا الموضوع بعنوان (العلمانيون والقرآن - تاريخية النص-) للباحث د. أحمد بن إدريس الطعان وهي جيدة في بابها وخاصة ما يتعلق بشبهات العلمانيين بالقول بتاريخية النص. وقد نقل عدد من تعريفات المفكرين المعاصرين للتاريخية وأخصر تعريف ما ذكره أركون حيث قال: «التحول والتغير أي تحول القيم وتغيرها بتغير العصور والأزمان» العلمانيون والقرآن ص ٢٩٧. وعقد الباحث فصلاً عن تاريخية القرآن عند هؤلاء المفكرين ص ٣٣٢، وانظر كذلك: الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن ص ٢٣٥ فقد عقد فصلاً عن تاريخية النص القرآني التي يقول بها العلمانيون. ويرجع بعض الباحثين فكرة تاريخية النص في الفكر الغربي إلى خمسة من فلاسفة الغرب وهم: ١- سبينوزا اليهودي ٢- ريشاد سيمون ٣- شتراوس ٤- رينان جوزيف أرنست ٥- بولتمان رودولف، أنظر: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها - دراسة نقدية شرعية - ص ١٠٦٤، د. سعيد الغامدي.
١٤١. الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون ص ٢١٢.
١٤٢. النص، السلمة، الحقيقة ص ٣٢.
١٤٣. انظر العلمانيون والقرآن ص ٤٤٢، و انظر: الاتجاه العلماني المعاصر ص ٢٤٧-٣٤٨.
١٤٤. النص القرآني ص ٢٩٨-٢٩٩، و انظر: تقرير يحيى محمد في جدلية الخطاب والواقع ص ٢٢ (الاتجاه العلماني المعاصر ص ٣٤٨).
١٤٥. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني لأركون: ص ٤١، وهو أمريكا ديجم عليه كل العلمانيين والحدائين في العالم العربي، انظر: مقالاً لأدونيس في جريدة المحرر اللندنية، العدد: ٢٧٨، كانون الثاني ٢٠٠٢. وما قرره عزيز العظمة في ندوة بدار الساقى عقدت بعنوان الاسلام والحداثة ص ٢٥٩-٢٦٣ وقرره حسن حنفي ص ٢٦٧ (انظر: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ص ١٠٥، ١٠٨٧).
١٤٦. انظر: الاتجاه العلماني المعاصر ص ٢٤١-٢٤٢.
١٤٧. الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ص ١٠٩٨.

- أهداف النشرة :

١. العمل على تفعيل المقدرات البحثية ، وتوظيفها في مواجهة التيارات الفكرية الوافدة.
٢. استنهاض الهمم ، وحشد الطاقات لخلق ترس حصين دون مسلمات الأمة وقيمها وأخلاقها .
٣. جعل التصدي للتيارات الفكرية الاستلابية هم عام لثقفي الأمة .
٤. رعاية الإنتاج الإبداعي وتحفيز المبدعين .

- مجالات النشر : (المحاور الرئيسية للبحوث)

دراسة اتجاهات التنوير الغربي في المجتمعات المسلمة (الليبرالية ، العلمانية) والمذاهب الفكرية التي أفرزتها (العصرانية ، العقلانية) في كافة المجالات (التعليمية ، السياسية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، الأدبية) وذلك من خلال :دراسة البعد التاريخي ، نقد الأصول الفكرية ، الوسائل المتبعة في نشرة الفكر، والأثار السالبة التي أفرزتها تلك المذاهب في المجتمعات المسلمة

- ضوابط الأعمال المقدمة للنشر :

- يراعى في الأعمال التي ترسل إلى المركز الأمور التالية:
- أن تكون متسمة بالموضوعية في تناول القضايا ضمن المحاور المذكورة .
 - أن تكون فيها إضافة جادة في ميدانها.
 - أن تكون بالعربية الفصحى ، والبعد ما أمكن عن المصطلحات الغربية المستحدثة ، إذا وجد ما يقابلها من اصطلاح في العربية.
 - ألا يكون العمل المقدم قد تم نشره مفردا من قبل ويستثنى النشر في المجلات المحكمة.
 - أن يكون البحث مطبوع على الكمبيوتر بمقاس خط ١٨ عادي ، ويتراوح عدد الصفحات ما بين ٥٠-٦٠ صفحة

تدفع قيمة الاشتراك (١٢ عدد) بإيداع في مصرف الراجحي
حساب رقم: ٣٥٥٦٠٨٠١٠٤٩٠٩٠٣ باسم مركز الفكر المعاصر
للأفراد ٢٠٠ ريال وللمؤسسات ٣٥٠ ريال
(مع إرسال صورة إيصال الإيداع وبيانات الاشتراك على البريد الإلكتروني)



السيرة الذاتية

د. ناصر بن يحيى الحيناني

من مواليد عام ١٣٨٩هـ.

- أستاذ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة،

- المشرف العام على مركز الفكر المعاصر

- نائب رئيس الجمعية العلمية السعودية للدراسات الفكرية المعاصرة .

- رئيس اللجنة العلمية بمؤسسة الوقف سابقاً .

- عضو وحدة البحوث في كلية أصول الدين بالرياض .

مؤلفاته :

منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة .

التطرف المسكوت عنه (نقد أصول الفكر العصري)

تحقيق وتعليق على نونية ابن القيم بالاشتراك مع مجموعة من الباحثين